الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التـــــاريخ

الرقم: .....

رقم التسجيل: 1335086041

أهل الذمة في العهد المرابطي (الحضور والإسهامات)
(447- 541هـ/1055-1146م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في:

شعبة: التاريخ تخصص: تاريخ القرون الوسطى

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ:
وردة بلطرش عبد العزيز شاكي

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
مصطفى بن حسين	جامعة المسيلة	رئيسا
عبد العزيز شاكي	جامعة المسيلة	مشرفا
عامر خير	جامعة المسيلة	مناقشا

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من لم يعرف شكر الناس لن يعرف شكر رب الناس."

لهذا نتقدم بالشكر الخالص والتقدير للأستاذ"شاكي عبد العزيز"الذي لم يبخل علينا بالنصح والتوجيه.

إلى كل من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا ويغذي عقولنا إلى كل الأساتذة، كما أتقدم بالشكر إلى كل عمال قسم التاريخ.

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد، ووقف الى جانبي.

مقدمـة

شهد عهد الدولة المرابطية في بـُنـْيـَتـِها الاجتماعية عدة فئات مختلفة الأجناس والديانات عرفوا باسم أهل الذمة، حيث تـُعـَدُ هذه الفئة من الفئات الاجتماعية التي احتلت مكانة محترمة في المجتمع الإسلامي عامة والمرابطي خاصة، فلقد ارتبط حضور هذه الفئة بقيام الدولة الإسلامية، إذ تكتسي هذه الفئة أهمية بالغة في المجتمع المغاربي، إذ شكلوا أقلية نشطة وساهموا فيبناء الحضاري للمجتمع المغاربي، فلعبوا أدوارًا هامة داخله إذ تقلدوا مناصب عليا في الجهاز الإداري والعسكري وعلى جميع المستويات كالاقتصاد والثقافة...، ورغم ما قيل من طرف بعض الكتاب المستشرقين بأن أهل الذمة عاشوا في اضطهاد في دولة المرابطين وأنهم لم يتمتعوا بحريتهم الدينية والسياسية، إلا أن الأحداث التاريخية والسياسية تعكس هذا الاضطهاد.

مبررات اختيار الموضوع:

يرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع رغبة منا في التعرف على العلاقة التي كانت تجمع المسلمين وغيرهم من الفئات التي كانت موجودة في المجتمع الإسلامي المغاربي وأسس التعامل بينهم خصوصا أهل الذمة من اليهود والنصارى، وما مدى تعامل المسلمين مع هذه الفئة، وكيفية تفاعل هؤلاء مع المسلمين.

إشكالية الدراسة:

فكان لابد من التوقف عند هذه الفئة وأول ما يتبادر إلى الذهن حول موضوع الدراسة من إشكال هو: إلى أي مدى شكل أهل الذمة حضورًا لافتا وبيًا هامًا في الدولة المرابطية؟ وكيف مارس أولئك الذميون أنشطتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية في ظل الحكم المرابطي؟ وإلى أي درجة تمتع أهل الذمة من اليهود والنصارى بالتسامح الديني في المجتمع المرابطي؟ وهل كان لليهود والنصارى حضور وإسهامات في الدولة المرابطية؟ وما هي انعكاسات تواجد هذه الفئة على مختلف الأنشطة في الدولة المرابطية؟

تصميم الموضوع:

وللإجابة عن التساؤلات ارتأينا أن نضع خطة بحث للإحاطة بالموضوع، فقمنا بتقسيم البحث إلى ثلاث فصول:

تناولت في **الفصل الأول: أهل الذمة والدولة المرابطية**، والذي تندرج تحته عناوين فرعية: تناول تعريف أهل الذمةوكيف كُفِلَت لهم حقوقهم وواجباتهم في ظل الدولة الإسلامية ثم تطرقنا إلى قيام دولة المرابطين من خلال تحديد النسب والامتداد الجغرافي والنشأة والتأسيس وكذا ما مدى امتداد توسعات هذه الدولة.

أما **الفصل الثاني** كان تحت عنوان: **اليهود داخل الدولة المرابطية**، تناولنا الحديث عن المعنى اللغوي والاصطلاحي لليهود ثم تطرقنا إلى التواجد اليهودي في كل من المغرب والأندلس، وتم عرض تفاصيل عن وضعية اليهود في المغرب الأقصى والأندلس إبّان العصر المرابطي، مع إبراز وا إسهامات وحضور اليهود في الدولة المرابطية.

أما **الفصل الثالث** فكان بعنوان: **النصارى في كنف الدولة المرابطية**استُهِل بتعريف النصارى لغة واصطلاحا، ومناطق تواجدهم في المغرب والأندلس وأماكن استقرارهم ووضعيتهم الاجتماعية داخل الدولة المرابطية محددين أهم المجالات التي برعوا فيها خاصة الجانب العسكري الاقتصادي.

ومن هنا قد أنهينا دراستنا بخاتمة تضمنت ما قد استخلصناه من نتائج وآفاق للموضوع مع بعض الملاحق الضرورية، وقائمة للمصادر والمراجع التي أفادتنا في الدراسة

منهج الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي التحليلي الذي يعتمد على سرد الأحداث وترتيبها وفق حقب وتواريخ زمنية محددة لدراسة مدى اسهامات هذه الفئة في بناء الدولة المرابطية.

نقد المصادر والمراجع:

ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع متعلقة بالحقبة المدروسة ورغم توفر المادة العلمية وغزارتها إلا أن المصادر التاريخية كانت توحي لنا سوى بمعلومات هزيلة وأخبار شحيحة ومبعثرة عن هذه الفئة، إذ نجد أن المؤرخون العرب عزفوا عن التأريخ لهم، ولم يشيروا إليهم في ثنايا كتبهم سوى بكلمات قليلة.

ولتغطية فصول البحث عدنا إلى مجموعة من المصادر والمراجع كان من أهم المصادر: من كتب الفقه والفرق كتاب الملل والنحل للشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت584هـ/1153م)، حيث أفادني هذا الكتاب في تطرقه لمفهوم اليهود والنصارى. بالإضافة إلى كتاب أحكام أهل الذمة لابن القيم الجوزية شمس الدين ابن عبد الله بن أبي بكر (ت752هـ/1252م)، حيث أفادني هذا الكتاب في تطرقه لمفهوم أهل الذمة وحقوقهم في الدولة الإسلامية، بالإضافة إلى كتاب الخراج للقاضي أبو يوسف بن يعقوب ابنإبر اهيم الأنصاري (ت182هـ/798م)، يعد من أهم المصادر المهمة التي أفادتنا في هذا البحث.

و أما فيما يتعلق بكتب التاريخ فقد اعتمدنا على كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**" لابن عذارى المراكشي بأجزائه الأربعة من أهم المصادر التي زودتنا بمعلومات عن نسب المرابطين واليهود داخل الدولة المرابطية وكذا مناطق تمركز النصارى في كل من المغرب والأندلس. وأيضا كتاب الحلل الموشية المؤلف مجهول استعنا به في الفصل الأول في تحديد مدى توسعات الدولة المرابطية. بالإضافة إلى كتاب تاريخ ابن خلدون المسمى "**العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**" لابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ/1405م) الذي يعد من أهم المصادر الرئيسية التي تعالج تاريخ المغرب، حيث تمكنا من خلاله من معالجة ومعرفة معالم دولة المرابطين وامتداداتها، ضف إلى ذلك كتاب "**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس**" لابن أبي زرع،

كان مرجعنا في الفصل الأول فيما يتعلق بدولة المرابطين وفي الفصل الثالث في مناطق تواجد النصارى في بلاد المغرب والأندلس. وأيضا من المصادر التي ساعدتنا في هذه الدراسة كتاب "**الإحاطة في أخبار غرناطة**" لابن الخطيب، لسان الدين محمد عبد الله الغرناطي (ت776هـ/1374م) حيث قدم لنا معلومات حول دور النصارىوا إسهاماتهم في الدولة المرابطية.

وأيضا كتاب "**وفيات الأعيان**" لابن خلكان أبو العباس شمس الدين (ت681هـ/ 1282م)، حيث أفادنا هذا الكتاب في الفصل الأول من خلال تطرقه لنسب المرابطين وكذا في الفصل الثالث في تحديد مناطق تواجد النصارى ببلاد المغرب.

أما فيما يتعلق بكتب الجغرافيا فقد اعتمدنا على كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول، فقد أفادنا في معرفة مناطق اليهود واستعملناه في الفصل الثاني وكذلكمعرفة أحوالهم إبّان العصر المرابطي. ضف إلى ذلك كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله (ت626هـ/ 1229م) الذي ساعدنا كثيرا في الدراسة خصوصا في الفصل الأول والثاني في تعريف المناطق، إضافة إلى كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب– المسالك والممالك، حيث بعد من المصادر الجغرافية الهامة الذي أفادنا في الدراسة حيث أعطى لنا معلومات حول دور اليهود ومناطق تمركزهم، وكتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي (ت727هـ/ 1327م) حيث ساعدننا في معرفة مناطق اليهود والنصارى في الفصل الثاني والثالث، بالإضافة إلى كتاب صورة الأرض لابن حوقل الذي اعتمدنا عليه في الفصل الأول في إبراز بعض النقاط المهمة للدولة المرابطية.

ومن المراجع التي استفدنا فيها في بحثنا كان من بينهما كتاب "مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين" لإبراهيم القادري بوتشيش، الذي استفدنا منه كثيرا في بحثنا، وذلك بما شمله من تفصيل عن الدولة المرابطية وأهل الذمة،

وأيضا كتاب دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا لعصمت عبد اللطيف دندش، حيث أفادنا هذا الكتاب كثيرا في قيام دولة المرابطين في الفصل الأول وأيضا كتاب معالم تاريخ المغرب والأندلس لحسين مؤنس، حيث ساعدنا كثيرا في الفصل الأول في نشأة وتأسيس الدولة المرابطية.

ومن المراجع المهمة التي أفادتنا في بحثي كتاب "**اليهود في المغرب العربي**" لعبد الرحمان بشير، حيث أفادنا هذا الكتاب كثيرا في معرفة مناطق تمركزهم اليهود وأيضا كتاب "**فجر الأندلس**" لحسين مؤنس أفادنا هذا كثيرا في الفصل الثاني والثالث وأعطى لنا معلومات عن النصارى واليهود.

وكذا كتاب "**تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين**" ليوسف أشباخ، الذي أفادنا كثيرا في إعطاء معلومات حول اليهود في الدولة المرابطية، بالإضافة إلى كتاب "**الإسلام في في المغرب والأندلس**" لليفي بروفنسال، حيث ساعدنا هذا الكتاب في إعطائنا معلومات حول تواجد اليهود، وكتاب رينهرت دوزي: "**المسلمون في الأندلس**" حيث قدم لنا معلومات حول اليهود في الدولة المرابطية وبالإضافة إلى كتاب "**إفريقيا**" لمرمول كربخال حيث أفادنا كثيرا في الفصل الثالث في معرفة تواجد النصارى.

ومن هنا قد أنهينا دراستنا بخاتمة تضمنت ما قد استخلصناه من نتائج وآفاق للموضوع، إلى جانب بعض الملاحق الضرورية وقائمة للمصادر والمراجع التي أفادتنا في الدراسة.

الصعوبات: ولا شك أن أي دراسة لا تخلو من صعوبات ومتاعب وعليه من بين الصعوبات التي واجهتني في دراستي هي:

-عدم التمكن من مواكبة اللغات الأجنبية، إذ أن أغلب الدراسات التي تناولت موضوع اليهود والنصارى كانت مكتوبة باللغة الأجنبية.

– توفر المادة العلمية وغزارتها ولكن تكمن الصعوبة في فرز هذه المعلومات لكثرتها وتشعبها.

– غياب النص النصراني يفقد البحث جزءا من قيمته.

– افتقادنا للنص النوازلي.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كل من مد لي يد المساعدة من قريب أو بعيد وعلى رأسهم الأستاذ شاكي عبد العزيز على ما قدمه لي من ملاحظات بناءة خاصة وأنه كان شديد الحرص بشأن توثيق المادة العلمية لحفظ جهود من سبقونا كما أتقدم بالشكر إلى اللجنة المشرفة على مناقشة البحث وا ٍخراجه إلى النور.

أولا: أهل الذمة

ظهرت في بلاد المغرب عدة جاليات مختلفة منها اليهود والنصارى وغيرها، واتخذت من أرض المغرب موطنا لها، وعلى هذا الأساس تشكل المجتمع الإسلامي من عدد كبير من الديانات الأخرى إلى جانب اليهود والنصارى نذكر منها: المجوس والصابئة والسامرة، وكان يطلق عليهم أهل الذمة.

يستوجب علينا إعطاء تعريف للذمة سواء من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية، فما المقصود إذن بأهل الذمة؟

1- مفهوم أهل الذمة:

أ- لغة:

الأهل في اللغة عند ابن منظور نقصد به أهل الرجل وعشيرته وذوي قرباه أي بمعنى القرابة والعشيرة،[1] والذمامة بالكسر الحق والحرمة،[2] وكلمة الذمة تعني لغويا العهد والأمان والضمان، بمعنى أن أهل الذمة هم الذين شملهم الإسلام من النصارى واليهود بعهده وأمانه،[3] لما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم "ويَسْعَى بِذَمتهِم أَدنَاهُم"[4] وقد فسر الفقهاء ذمتهم بمعنى الأمان،[5]وفي قوله تعالى:"لاَ يَرْقَبُونَ في مُؤْمِن إِلاَ ولاَ ذَمَةَ وأولئِكَ هُمْ المُعْتَدُونَ"،[6] وقد فسر إلاّ: بالحلف، والذمة بالعهد.[7]

أما بالنسبة للذمي نقصد به الكافر الذي يدخل في ذمة الدولة الإسلامية بصفة عامة نهائية شرط دفع الجزية،[8] والتزام أحكام الملة، فيصير تحت رعاية وحماية المسلمين،[9] مما سبق نستنتج أن معاني الذمة في اللغة:

1- الأمان

2- العهد والكفالة

3-الحق والحرمة.

ب- اصطلاحا:

أهل الذمة:

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1994، ج1، ص 163.

[2]- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مطبعة بولاق، القاهرة، 1983م، ج4، ص 114.

[3]- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د. ت)، ص 66؛ محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن 14-20، دار الفكر، بيروت، مج: 4، ص 127.

[4]- عطية فياض: فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة، ط1، دار النشر الجامعات، مصر، 1999، ص 13.

[5]- عبد الكريم زيدان: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مكتبة القدس، بغداد، ومؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ص 22.

[6]- سورة التوبة: الآية 10 .

[7] - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، ج8، ص79.

[8]- الشافعي: منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، منشورات محمد بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 7.

[9]- الكاساني: كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، مج7، ص 112؛ عبد الكريم زيدان: المرجع السابق، ص 22.

هم الرعايا غير المسلمين الذين يقيمون في الدولة الإسلامية،[1]، وفي الإسلام نقصد بهم أهل الكتاب والمجوس،[2] وفي القرآن الكريم قوله تعالى:" وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٧٢"[3] ويقال: أهل الذمة لأنهم قاموا بتأدية الجزية فأمنوا على دمائهم وأرواحهم، [4]وسبب وضع الجزية هو قوله تعالى:"قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ٢٩ "[5]

ومصطلح أهل الذمة نقصد به أبناء الملل الغير الإسلامية التي عاشت في كنف الدولة الإسلامية، فشرع لهم الإسلام الضمان والأمان.[6]

كذلك مصطلح أهل الذمة عند بعض الفقهاء يقصد به من عاهدهم الإمام أو نائبه من غير المسلمين عهدًا مؤبداً على ممتلكاتهم وأنفسهم وأعراضهم وعقيدتهم، بشرط دفع الجزية والالتزام لأحكام الإسلام.[7]

وذكر ابن القيم الجوزية بشهادة الفقهاء،أن الخليفة عمر رضي الله[8]عنه الذي أخذ الجزية من مجوس،[9] بشهادة الصحابي عبد الرحمن بن عوف تبعا لمسيرة الرسول في أخذ الجزية من مجوس هجر.[10]

فالنبي صلى الله عليه وسلم أوصى بأهل الذمة خيرا، حيث روي عنه قال: "إذا فتحت مصر فاستوطنوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحمةً" [11]

وإذا كان اليهود والنصارى هم أهل الذمة تمييزا لهم عن عبدة الأوثان، واعترافهم بالكتب المنزلة عليهم (التوراة والإنجيل)،ما جعل مكانتهم رفيعة وراقية دون غيرهم من عبدة الأوثان،[12] لقوله تعالى:(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ

---

[1]- ابراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 66.

[2]- ابن القيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، تح، أبو البراء يوسف بن أحمد البكري و أبي أحمد شاكر توفيق العاروري، ط1، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، 1997، مج1، ص ص 79-80.

[3]- سورة آل عمران: الآية 72.

[4]- أحمد الشنتاوي وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة ، بيروت، (د.ت)، مج 9، ص 390.

[5]- الآية: 29 من سورة التوبة.

[6]-محمد عمارة: معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ط2، دار النهضة للنشر والتوزيع، مصر2004،ج1، ص115.

[7]- عطية فياض: المرجع السابق، ص 13.

[8]- عمر بن الخطاب ابن نوفيل بن عبد الغرى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي أمير المؤمنين ثاني الخلفاء الراشدين تولى الخلافة في 22 من شهر جمادى الأخيرة، سنة 13هـ- 23ه/ 634 وقد أطلق عليه الرسول صلى الله عليه وسلم تسمية الفاروق حيث فرق الله به بين الحق والباطل، استشهد في أواخر ذي الحجة سنة 23. أنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء تح: بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص81؛ محمود شاكر: موسوعة الفتوحات الإسلامية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص25.

[9]- المجوس هم الذين يزعمون أن الخير من فعل النور وأن الشر من فعل الظلمات، وكذلك يطلق عليهم عبدة النار، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج3، ص 4141.

[10]- ابن القيم الجوزية: المصدر السابق، مج1، ص 81,

[11]- الطبراني المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، ط2، مطبعة الزهراء الحديثة، بغداد، 1984، ج23، ص61.

[12]- ماجد بن صالح المضيان: دور أهل الذمة في إقصاء الشريعة الإسلامية ، تقديم: عبد الله بن عمر الدميجي، دار الهدى النبوي، مصر، دار الفضيلة، السعودية، 2007م، ص 28.

أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩)[1]

مما سبق نجد أن أهل الذمة هم المعاهدين من أهل الكتاب من النصارى واليهود.

تمتع أهل الذمة في الدولة الإسلامية بحقوق وفرضت عليهم واجبات، فما هي الحقوق التي كفلها الشرع لأهل الذمة؟ وما هي واجباتهم؟

2- حقوق وواجبات أهل الذمة في الدولة الإسلامية:

أ- حقوق أهل الذمة:

الحق هو اسم من أسمائه تعالى، "وحق الأمر يحق ويحق حقا وحقوقاً أي بمعنى أنه صار حقا وثبت بمعنى وجب.[2]

لذا اعتبر الحق له عدة معاني تكمن كلها في الثبوت والوجوب،[3] وفي قوله تعالى: (لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧)[4]

فالحقوق التي كفلها الإسلام لأهل الذمة اعتبرت الحقوق الواجبة والمفروضة عليهم في جميع المجالات، ويتضح هنا أن لهم مالنا وعليهم ما علينا، بمعنى أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، لكن بموجب عقد الذمة،[5] لذا سنتطرق لأهم هذه الحقوق وحصرها فيما يلي:

- **حق الحماية:**

يتضمن حق الحماية لأهل الذمة دمائهم وأنفسهم وأبدانهم وأموالهم وأعراضهم، أي أن دم الذمي كدم المسلم، ودية الذمي كدية المسلم ولا فرق بينهما.[6]

فالإسلام ساوى بين المسلمين وأهل الذمة في الحقوق فمثل حماية الأنفس كحماية الأموال، فمن سرق مال ذمي قطعت يده، ومن قام باستدانة مال من ذمي فعليه أن يسدد دينه، وهذا من رعاية الإسلام لحرمة أموالهم وممتلكاتهم فقد قبلوا بشرط عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودمائهم كدمائنا.[7]

كما صان الإسلام عرض الذمي وكرامته كعرض المسلم، فلا يجوز إيذاء الذمي باليد أو اللسان أو الشتم أو تهمته بالباطل،[8] وفي الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه

---

[1]- سورة البقرة : الآية 109.
[2]- ابن منظور: ،المصدر السابق، ج1، ص 940.
[3]- ماجد بن صالح المضيان: المرجع السابق، ص 38.
[4]- سورة يس : الآية 7 .
[5]- ماجد بن صالح المضيان: المرجع السابق، ص 38.
[6]- أبو الأعلى المودودى: حقوق أهل الذمة، كتاب المختار، (ب. ط)، (ب. ت)، ص ص 15- 16.
[7]- إدوارد غالي الذهبي: معاملة المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط1، مكتبة غريب، (د. م)، 1993، ص ص95-96.
[8]- أبو الأعلى المودودى: المرجع السابق، ص 19.

وسلم: "من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة"،[1] بمعنى أن أهل الذمة سواء كانوا من أهل الكتاب وأهل العقيدة لا يجب التعرض لهم، فقد أوصى عليهم الله ورسوله بموجب عهد بحماية أنفسهم وممتلكاتهم فمن تجرأ على إيذائهم يكون عليه أفضل الصلاة والسلام خصمه يوم القيامة.

- **حرية العقيدة والتدين:**

لقد صان الإسلام لغير المسلمين معابدهم ورعى حرمة طقوسهم الدينية فمارسوها بكل حرية، حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا باحترام دينهم وعدم إكراههم في دينهم وتوفير الحرية والطمأنينة لهم،[2] عملا بقوله تعالى:(لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦) [3] حيث كان أهل الذمة يؤدون شعائرهم الدينية بكل حرية دون مضايقة من المسلمين.[4]

حيث نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلائبهم ولا يكرهون على دينهم، فحرية العقيدة حق مضمون لأهل الذمة في الدولة الإسلامية[5] عملا بقوله تعالى: (وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩) [6]

فقد اشتمل نظام أهل الذمة على قواعد توفر لهم الحرية والطمأنينة داخل الدولة الإسلامية، فأول من طبق هذا النظام على النصارى واليهود في الحجاز محمد صلى الله عليه وسلم.[7]

- **حق البر والإحسان إليهم:**

للذميين حق المعاملة الحسنة والرفق بهم فقد أباح الإسلام ذلك بقوله تعالى: (لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨)،[8] ومن أمثال البر بهم الرفق بالضعفاء وإطعام جائعهم واكساء عاريهم وتجوز فيهم الصدقات من بيت المال لأنهم مستوطنون في دار الإسلام وهذا يبين مدى عظمة ديننا الحنيف.[9]

---

[1]- عطية فياض: المرجع السابق، ص6.

[2]- علي حسن الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، إشراف: محمد توفيق عويضة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1969، ص65.

[3]- سورة البقرة : الآية 256.

[4]- كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، 1996، ص ص 36- 39.

[5]- عبد الكريم محمد زيدان: المرجع السابق، ص92.

[6]- سورة يونس: الآية 99.

[7]- السيد عبد العزيز سالم: بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية -مجموعة البحوث التي ألقيت في ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ أحمد فكري- مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 2000، ص ص 184- 185.

[8]- سورة الممتحنة : الآية 8 .

[9]- ابن القيم الجوزية: المصدر السابق، مج1، ص 143.

- **الحق في العمل والتجارة:**

كفل الإسلام لأهل الذمة حق العمل والكسب في التجارة بما أنهم يقيمون في دار الإسلام، فأصبح لهم نفس حقوق المسلمين في ممارسة نشاطاتهم بكل حرية إلا ما تم استثناؤه كالربا فهي محرمة عليهم كالمسلمين،[1] امتثالاً لقوله تعالى: ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥)[2]

وعليه يمكن القول بأن الإسلام منح لأهل الذمة كافة حقوقهم في العمل والتجارة من أجل الكسب، لأنهم يقيمون في دار الإسلام، وعليه فإن أحكام الذمة مستمدة من مصادر التشريع الإسلامي لذا فحقوقهم مضمونة في الدولة الإسلامية.

- **حق تولي الوظائف العامة:**

لقد منح الإسلام لأهل الذمة الحق في تولى الوظائف العامة، فأتاح لهم المجال في كل الأعمال ولم يغلق عليهم أي باب منهم،[3] ففي زمن العباسيين تولوا مناصب مرموقة كالطب، بالإضافة إلى توليهم مناصب في الدولة الإسلامية مثل كتاب الدواوين[4] وفي المجال الثقافي فقد أتيح لكافة الذميين أن ينهلوا ويعلوا من علوم المسلمين ومعارفهم من دراية بالعربية ولغتها،[5] فيجوز أن يتولى أهل الذمة أرفع المناصب فيما يتعلق بشؤون الدولة من توليهم مناصب: "كالمحاسب العام أو المهندس الأعلى"، وروي عن الخليفة سليمان بن عبد الملك أنه استخدم نصراني من أهل الذمة وأوكله على الإشراف على نفقة[6] بناء مدينة الرملة وبناء مسجد بها[7].

وفي الأندلس، ظهر عدد كبير من الأطباء اليهود على وجه الخصوص، تمتعوا بروح التسامح والرعاية من قبل الحكام والخلفاء ومنهم: حسيدي بن إسحاق بن شروط، كان طبيبًا بارزا في عهد عبد الرحمان الناصر، قام بترجمة كتاب ديقوريوس عن الأعشاب الطبية من اليونانية إلى العربية،[8] أما بالنسبة للمناصب الشرعية كالإمامة فقد تعذر على الذميين توليتها، بحكم أنها تجوز للمسلم فقط،لأن الإمامة خلافة عن صاحب الشرع في حماية الدين.[9]

---

[1]- عبد الكريم زيدان: المرجع السابق، ص 110.
[2]- سورة البقرة : الآية 275.
[3]- ماجد بن صالح المضيان: المرجع السابق، ص 11.
[4]- آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية، تونس، 1986،ج1، ص97.
[5]- حسين الوراثكلي: ياقوتة الأندلس -دراسات في التراث الأندلسي-دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994، ص 13.
[6]- نريمان عبد الكريم أحمد: معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1969، ص 112.
[7]- الرملة: مدينة فلسطينية عريقة، فتحها العرب بقيادة عمروا بن العاص رضي الله عنه عام15ه/ 636م. أنظر: عبد الحكيم العفيفي: موسوعة 1000 مدينة إسلامية، ط1، أوراق شرقية، بيروت، 2000م، ص 256.
[8]- نريمان عبد الكريم أحمد: المرجع السابق، ص 183.
[9]- عبد الكريم زيدان: المرجع السابق، ص 113.

وقد استثنى أهل الذمة من منصب قيادة الجيش عند المسلمين، لأن الجهاد عبادة في الإسلام وله غاياته، وجعل الدفاع عن الوطن الإسلامي من واجب المسلمين وحدهم خوفا من خيانتهم لذا تعذر عليهم تولية هذه المناصب[1] عملا بقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨)،[2] لذا أوصانا الله عز وجل بأخذ الحيطة والحذر.

أما بالنسبة لمنصب القضاء فقد طبق المسلمون الشرع الإسلامي وأعطوهم حريات واسعة تسمح لهم بممارسة القضاء على مذهبهم الديني، فيجوز للذمي أن يتولاه لكن بعد فتح محاكم خاصة بهم تفصل بين المتخاصمين وفق قوانينهم، أما في حالة اعتبار القضاء وظيفة دينية في هذه الحالة لا يمكن أن يتولاها غير المسلم، لأنهم يتجاهلون أحكام وشرائع المسلمين،[3] فالإسلام كان يرعى حقوقهم ويحسن معاملتهم وساوى بينهم وبين المسلمين بما أنهم يقيمون في دار الإسلام.

من خلال ما سبق ذكره، نلاحظ أن الإسلام كرم الذمي ومنحه حقوقا في إطار الشرع ومراعاة ديانته وأصله وما ينطبق على المسلمين ينطبق على الذميين، كما أن الإسلام ساوى بين الذمي والمسلم وكفل لهم القرآن والسنة حقوقهم الكاملة.

ب- واجبات أهل الذمة:

لقد أعطى الإسلام لأهل الذمة حقوقا بشرط استقامتهم على العهد وخضوعهم لأحكام الإسلام، وأقاموا الواجبات، ويمكن حصر أهمها فيما يلي:

✓ **الجزية:**

وجب على أهل الذمة أداء الجزية والضريبة التجارية، فالجزية مأخوذة من الجزاء لأنهم ظلوا على كفرهم وأصروا عليه ورضوا بأحكام الإسلام، مقابل إعطاء المسلمين الأمان لهم.[4]

وتعتبر الجزية ضريبة موضوعة على رؤوس أهل الكتاب[5]، الذين يتمتعون بالأمن والحماية في ظل الحكومة الإسلامية، تتمثل في مقدار معين من المال فالجزية كانت تفرض على الرجال القادرين من أهل الذمة، ولا تؤخذ من النساء والأطفال والمسنين وغير القادرين

---

[1]- ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق، ص 38.

[2]- سورة آل عمران: الآية 118.

[3]- ماجد بن صالح المضيان: المرجع السابق، 39.

[4]-البهوتي: كشاف القناع عن متن الإقناع، عالم الكتاب، بيروت، 1983، ج3، ص117؛ محمد عمارة: المرجع السابق، ص116.

[5]- أهل الكتاب: هم الخارجون عن الملة الحنفية والشريعة الإسلامية من اليهود والنصارى، ونسبة إلى الكتاب المقدس التوراة والإنجيل، ولا يجوز مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم. أنظر: الشهرستاني: الملل والنحل، تح: أمير علي حنا وعلي حسن فاعود، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1993، ج1، ص247.

جسمانيا[1] لقوله تعالى: (قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩)[2]

فالجزية واجبة على أهل الذمة في دار الإسلام سواء كانوا يهودا أو نصارى أو مجوس أو صابئة[3] أو سامرة.[4]

وشروط أخذ الجزية تتمثل في العقل والبلوغ والحرية والذكورة والصحة،[5] فكانت الجزية بمثابة حماية للذميين، فاختلف الفقهاء في مقدارها وصنفوها الى ثلاثة أصناف:

-أغنياء تؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهما مثل: الصيرفي والتاجر والطبيب.

-وأواسط يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهما مثل أهل الصناعة والتجار الذين يحتملون القيمة السابقة.

-وفقراء يؤخذ منهم اثنا عشر درهما مثل: الخياط والصباغ، وتؤخذ منهم كل عام،[6] وأهل الذمة كانوا مخلصين للدولة الإسلامية والوفاء بالعهد الذي قدموه لها.

✓ **احترام شعور المسلمين:**

وجب على أهل الذمة الذين يعيشون بين المسلمين أن يراعوا شعورهم، فلا يجوز لأهل الذمة أن يسبوا الإسلام والرسول وكتاب الله جهرا، مع احترام عقائد الإسلام وعدم التعرض لها، وكذلك عدم وقوفهم للدعوة الإسلامية وخيانتهم للدولة التي هم تحت حكمها[7]

فلا يجب على أهل الذمة أن يتعرضوا للمسلمين في أموالهم ولا يظهروا شعار الكفر في دار الإسلام ولا يقومون بأذية المسلم والمسلمة،[8] بما أن أهل الذمة يتمتعون بحرية كاملة لا انتقاص فيها يجب عليهم احترام حرمة قبور المسلمين وعدم مرور بعجلاتهم وجنائزهم عبر مقابر المسلمين.[9]

مثلما أعطى الإسلام حقوق للذمي وكرمه، كذلك منحه الإسلام واجبات عليه أن يؤديها وفق منظور الشريعة الإسلامية دون أن يخل بواجباته في إطار مراعاة مشاعر المسلمين والعكس صحيح.

ثانيا: الدولة المرابطية

1- قيام الدولة المرابطية:

---

[1]- ابن القيم الجوزية: المصدر السابق، مج 1، ص 119؛ قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، ط1، دار الشروق، بيروت، 1993، ص21.

[2]- الآية 29 من سورة التوبة.

[3] - أبو يوسف: الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص 123.

[4]- السامرة: هم قوم من اليهود يخالفونهم في بعض أحكامهم، وهم يسكنون جبال بيت المقدس، وهم لا يعرفون حرمة لبيت المقدس، ولا يعظمونه ولهم توراة غير التوراة التي بأيدي اليهود، ويبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام. أنظر: ابن القيم الجوزية: المصدر السابق، مج1، ص 228.

[5]- وهيبة الزحيلي: فقه الإسلام وأدلته، ط2، دار الفكر، دمشق، 1985،ج6، ص 444.

[6]- أبو يوسف: الخراج، المصدر السابق، ص122؛ نريمان عبد الكريم: المرجع السابق، ص46.

[7]- ماجد بن صالح المضيان: المرجع السابق، ص 35؛ يوسف القرضاوي: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط6، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر، بيروت، 1994، ص41.

[8]- ابن سهل: وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي للنشر والتوزيع. القاهرة، مطبعة مدريد، 1980، ص 30.

[9]- المصدر نفسه: ص، 37.

أ) نسب المرابطين:

اختلفت الروايات التاريخية في تحديد النسب المرابطي، فقد ذكر ابن عذارى المراكشي أن نسبهم يرجع إلى لمتونة والتي بدورها تنسب إلى بطون صنهاجة،[1] وتذكر بعض المصادر الأخرى على أن النسب المرابطي ينتهي إلى قبائل صنهاجة التي بدورها تنقسم إلى 70 قبيلة،[2]ومن أهم بطونها لمتونة ومسوفة وجدالة ولمطة، ومن خلال هذه القبائل الأخيرة تشكلت على أساسها ما يعرف بالملثمين (الدولة المرابطية)،[3] أما لو رجعنا إلى المؤرخ ابن خلدون في كتابه ديوان المبتدأ والخبر فإنه يذكر أن المرابطين أصلهم من ريف الحبشة وصاروا بين بلاد البربر واتخذوا من اللثام وتميزوا بشعاره بين الأمم،[4] أما المتأمل والدارس للمصادر المشرقية وفي مقدمتها ابن الأثير الذي أرجع نسبهم إلى حمير، وكان دخولهم إلى بلاد المغرب في عهد الخليفة أبو بكر الصديق، ثم انتقلوا من الشام إلى مصر ثم إلى بلاد المغرب ثم توجهوا إلى طنجة[5] وأحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء ثم استوطنوها.[6]

ونجد أن ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان يذهب ما ذهب إليه ابن الأثير وأرجع نسبهم إلى قبيلة حمير بقوله: "والذي وجدته أن أصل هؤلاء القوم من حمير بن سبأ وهم أصحاب خير وابل"[7]غير أن ما ذهب إليه السلاوي في كتابه الاستقصا على خلاف ما ذهبت إليه المصادر المشرقية : "وأنهم من كنعان بن حام كسائر البربر"[8].

ومن خلال ما تم ذكره والتطرق إليه يمكن أن نرجع النسب المرابطي إلى قبيلة صنهاجة التي بفضل بطونها على غرار لمتونة وجدالة هم الذين أسسوا الدولة المرابطية.

ب)الامتداد الجغرافي لدولة المرابطين:

إن المتتبع والدارس لكتب الجغرافيا يمكنه تحديد الخارطة الجغرافية للدولة المرابطية والتي امتدت من المحيط الأطلسي غربا وحدها شنقيط وحوض نهر السينغال ومالي وغانا من الناحية الجنوبية، هذا الامتداد الطبيعي في جهة الفضاء الصحراوي مكنها من محاذاة الإمبراطورية السودانية وإمبراطورية كانم من جهة الشرق، أما من الناحية الشمالية فإن

---

[1]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة ، بيروت، 1983، ج4، ص 17.

[2]- ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص103؛ يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، تر: محمد عبد الله عنان، ط2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1996، ج1، ص67.

[3]- علي محمد الصلابي: دولة المرابطين، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2007، ص 9.

[4]- ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر- تح: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج2، ص 241.

[5]- طنجة هي إحدى مدن المغرب الأقصى أسسها الرومان عندما كانوا مستولين على الأندلس. أنظر:ابن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 147؛ حسن الوزان، وصف إفريقيا: تر:محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993،ج1،ص ص 313- 214

[6]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ج8، ص ص327- 328.

[7]- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، 1944، ج7، ص 128.

[8]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج2، ص3.

عبور المرابطين إلى الأندلس[1]مكنها من احتلال رقعة جغرافية شاسعة فشملت أجزاء من شبه الجزيرة الإيبرية، وبذلك فرضت سيطرتها على الأندلس لتواجه في الشمال كل من ممالك قشتالة وأرغون ونافارا، ومن الشرق إمارات بني زيري وبني حماد.[2]

وما يلاحظ على امتدادات الدولة المرابطية أنها شملت مساحة واسعة متخذة من العاصمة مراكش كمقر رئيسي لدولة المرابطين.[3]

ج) تأسيس دولة المرابطين:

كان موطن المرابطين الأول الصحراء الكبرى، وهي الصحراء الغربية صحراء شنقيط أو ما يسمى بموريتانيا[4]، وقد اشتهرت هذه القبائل باسم الملثمين،[5]وأصبح اللثام شعارا عرفوا به إلى أن سموا بالمرابطين،[6] وقد اتخذت قبائل لمتونة صنهاجة، مسوفة وجدالة البربرية في القرن 3ه-9م،[7]وكان من بين غايات هذا الاتحاد العمل على تنظيم تجارة القوافل عبر الصحراء في أقصى الجنوب[8] حيث توجد مملكة غانا،[9]وقد استطاعت هذه القبائل بعد تحالفها أن ترفع لواء مذهب مالك في أقاصي الصحراء، وأن تخرج من ديارها مجاهدة عاملة على إحياء الإسلام ونشره،[10] لكن لم يكتب لهذا الاتحاد حتى زال فانتهزت غانا تلك الفرصة،[11] فاستولت على بعض أجزاء الصحراء التي يأتيها تجار القوافل من البربر والعرب، فواجه زعماء هذه القبائل قوة غانا، وكان من بينهم الأمير أبي عبد الله بن تيفاوت المعروف بتارسنا اللمتوني، الذي كان من أهل الدين والفضل وتشبعه بروح الإصلاح والجهاد وبعد حجته إلى مكة، خاض معارك قوية ضد غانا أدت إلى استشهاده في هذه الموقعة بعد ثلاث سنوات من رئاسته، وكان ذلك سنة 431ه- 1038م.[12]

ثم خلفه يحي ابن إبراهيم، فكانت رحلته إلى مدينة القيروان فرصة لالتقائه بشيخ المذهب المالكي أبو عمران الفاسي، واغتنموا ما متعوا به من هدية ومن شافههم به من

---

[1]- حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص 165؛ عبد الهادي النازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور لليوم، الهيئة العامة للمكتبة، الإسكندرية 1987، مج5، ص7.

[2]- شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ العربي، الإسلامي، دار الفكر، دمشق، (ب. ط)، 2005، ص87.

[3]-علي محمد الصلابي:الجوهر الثمين لمعرفة دولة المرابطين،ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامي، مصر، 2003م،ص89

[4]- السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص3؛ عبد الله العروي: مجمل تاريخ العرب، ط2، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، 2000، ص 109.

[5]- ابن الآبار: الحلة اليسراء، تح: حسين مؤنس، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1963، ج2، ص52.

[6]- علي محمد الصلابي: فقه التمكين عند دولة المرابطين، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2006م، ص9.

[7]- عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (515-430ه/1038-1121م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 52.

[8]- الشريف الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبع بريل، ليدن، 1863، ص ص 2-3؛ مصطفى بنساع: السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف-ما بين عصري المرابطين والموحدين، ط1، مطابع الشويخ، تطوان، 1999، ص14؛ محمد زنيبر: المغرب في العصر الوسيط -الدولة - المدينة - الاقتصاد، ط1، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1999، ص ص 68- 69.

[9]-غانا: هي مدينة كبيرة في جنوب بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان، يجتمع إليها التجار. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (ب. ط) ، (ب. ت)، ج4، ص 184.

[10]- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 39.

[11]- السلاوي: المصدر السابق، ص ص 3- 6.

[12]-عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص 54.

فروض أعيانهم من فتاويه وسأله الأمير يحي ابن إبراهيم من تلامذته من يرجعون إليه في نوازلهم وقضايا دينهم، فندب تلميذه إلى ذلك حرصا على إيصال الخبر إليهم، لما رأى من رغبتهم فيه،[1] أرسل الفقيه أبو عمران الأمير يحي إلى الشيخ وجاج ابن زلوالمطي فقيه المالكية بالسوس الأقصى، فسار يحي ابن إبراهيم بكتاب الشيخ أبي عمران إلى الفقيه وجاج وعهد إليه أن يلتمس لهم من يثق بدينه وفقهه ليعلمهم أحكام القرآن وشرائع الإسلام، ويذكر على أن الأمير يحي كان سيدًا مطاعا في قومه، ولما أعجب أبو عمران الفاسي بالأمير لما رآه من حبه للغير وحرصه على التعليم، فتحدث إليه الأمير عن سوء الأحوال في بلاده وجهل قبائلها بأصول الدين وفروع الشريعة. [2]

وتذكر بعض كتب التاريخ أن أبا عمران الفاسي هو الذي وضع الخطوط الأولى مع الزعيم يحي ابن إبراهيم لقيام دولة صحراوية في المغرب على أسس دينية صحيحة، كي يستطيع القضاء على الفوضى السياسية والدينية التي كانت بالمغرب،[3] فلما قرأ وجاج بن زلوالمطي الخطاب على تلامذته استجاب للدعوة عبد الله ابن ياسين الذي كان رجلا واسع العلم.[4]

ويحدثنا ابن عذارى أنه زار الأندلس ودرس فيه علوما شتى فأخذ عبد الله بن ياسين يبث تعاليم الدين بين بدو الصحراء ويُعلِمُهُمْ بأحكام الإسلام، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر،[5] وعند عودته إلى المغرب مر في طريقه بريف تامسنا،[6]ورأى كيف أن الصنهاجيين رضخوا تحت وطأة الزناتيين.[7]

وقد أدرك أنه من الممكن التغلب عليهم وإقامة دولة لصنهاجة هناك، وعندما توجه إلى لمتونة أخذ يحقق ما في تفكيره، وهنا يظهر عبد الله بن ياسين عن شخصية رجل سياسي مؤهل لقيام بحركة سياسية كبيرة،[8] لما أصبحت أعمال عبد الله بن ياسين تحدث صداها في المغرب، كون حوله جماعة من المخلصين خرج بهم إلى الجزيرة في المحيط قرب مصب وادي السينغال.[9]

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص ص 241- 243.

[2]- حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1997، ص ص 38-39.

[3]- علي محمد الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، المرجع السابق، ص ص 17- 18.

[4]- عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص ص61- 62.

[5]-محمد عبد الله عنان: ملوك الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة،1997م، ص 103

[6]- تامسا: إقليم في بلاد المغرب، وهناك مات الحسن ابن علي بن يحي بن تميم بن المعز الصنهاجي صاحب المهدية وهو إقليم تابع لمملكة فاس يبتدئ غربا عند أم الربيع وينتهي إلى أبي رقرق شرقا والأطلس جنوبا وشواطئ بحر المحيط شمالا.أنظر: محمد عبد المنعم الحميري: الروض القرطاس في خبر الأقطار تح: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص129؛ حسن الوزان: وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج1، ص 194.

[7]- الزناتيين: ينتسبون إلى أبو الحسن علي بن عبد العزيز الزناتي وزناتة ناحية سرقسطة من جزيرة الأندلس، ياقوت الحموي، مج4، المصدر السابق، ص 184.

[8]- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، (ب. ط)، 2004، ص 184.

[9]- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1997، ص16؛عبد الرحمان علي حجي: التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة، 897ه/1492، ط2، دار القلم، 1981، دمشق، ص420؛ شوقي عطا الله الجمل وعبد الله الرزاق إبراهيم: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص 50.

وهناك أنشأ رباطا[1] لهم، لم يلبث أن اتسع وكثر الناس فيه، فلما رأى عبد الله بن ياسين وفرة أعدادهم قال لهم أخرجوا فأنتم المرابطون،[2] وفي سنة 445ه خرجت الجماعة المرابطية الأولى لعبد الله بن ياسين للقضاء على سلطان المغراويين الزناتيين الذين كانوا يسيطرون على المغرب الأقصى، حيث عبر هذا الأخير الصحراء متجهًا إلى الشمال ولما وصل إلى تافيلاليت الذي كان يقوده مسعود بن ونودين ورجاله من المغراويين فانتصر عليهم،[3] وحرّر سجلماسة من أيديهم ثم نزل بسهل مراكش[4] سنة 451ه.[5]

وبهذا العدد القليل استطاع عبد الله ابن ياسين أن يخضع كل المعارضين لدعوته في جميع بلاد الصحراء، فقد تمكنت جيوشه أن تخضع بلاد نفيس وجبل درن[6] ودرعة[7]

وسجلماسة[8] فبايعته قبائل المنطقة،[9] وبوفاة عبد الله ابن ياسين [10] تسلم الراية أبو بكر بن عمر اللمتوني في جمادى الأولى سنة 451ه الذي تابع جهاده لبرغواطة حتى هزمهم[11] لكن سرعان ما اضطر للرحيل إلى جنوب المغرب بسبب الفتنة التي حدثت بين مسوفة ولمتونة،[12] وفي سنة 462ه توفي أبو بكر بن عمر في الصحراء، فاجتمعت طوائف المرابطين على يوسف بن تاشفين وملكوه عليهم وسموه بأمير المسلمين، وكانت في بلاد

---

[1]- الرباط من الفعل ربط، ربط الشيء يربطه ربطا والرباط: المواظبة على الأمر كما تعني ملازمة الثغر وقيل أن معناه واظبوا وحافظوا على مواقيت الصلاة، كما تعني كذلك الإقامة على الجهاد، ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، مج6، ص 1561؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: علي بوملحم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ج6، ص ص 169- 170.

[2]- المرابطون: طائفة دينية يعيشون داخل الرباط، ولكنهم في نفس الوقت زمرة من المحاربين، جورج مارسيه بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، (ب ط)، 1991، ص 274.

[3]- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 185.

[4]-مراكش: أعظم مدينة في المملكة المغربية كانت في الماضي عاصمة للمغرب الأقصى وعاصمة للمغرب و الأندلس معا ويعود بناء المدينة إلى عهد دولة المرابطين في القرن 5ه لتكون عاصمة للمغرب؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان،مج5، ص 94؛ عبد الحكيم العفيفي: موسوعة 1000 مدينة إسلامية ، ط1، أوراق شرقية، بيروت، 200، ص 451.

[5]- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ص 184- 186.

[6]- جبل مشهور بالمغرب معترض الصحراء، وفي أعلاه يضم مجموعة من القلاع والحصون. الحميري: المصدر السابق، ص ص 234- 235.

[7]- مدينة في جنوب المغرب في جهة سجلماسة تنسب كذلك إلى نهر الكبير الذي تتفجر عيونه بين جبال الأطلس وتتدفق مياهه نحو الجنوب، الحموي: المصدر السابق، مج5، ص 36؛ حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص254.

[8]- مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان في مقطع جبل درن، تقع على طريق غانا بلد الذهب، ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج3، ص 192.

[9]-محمد عبد الله عنان:عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط2، مكتبة الخانجي،القاهرة،1990م،ص 305

[10]-هو أبو بكر بن عمر أمير الملثمين كان في أرض فرغالة، تبعه أناس كثيرون، كان يسير في الناس سيرة شرعية. أنظر: ابن كثير: البداية والنهاية تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 2005، ج8،ص 268؛ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية،ج3، ص46.

[11] - ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تح: محمد شمام، ط2، تونس، 1968، ص ص 106-107.

[12] - ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص ص 111-112.

المغرب زناتة دولة مذمومة سيئة السيرة، فكان أمير المسلمين وطائفته على نهج السنة وإتباع الشريعة، فاستغاث به أهل المغرب فذهب إليها وافتتحها ثم قصد مدينة مراكش.[1]

ومنه هنا يمكن القول أن قيام الدولة المرابطية كان على عدة مراحل، ولعل أبا عمران الفاسي هو الذي وضع اللمسة الأولى ليكملها يوسف بن تاشفين، وقد قامت دولة المرابطين في الفترة ما بين (447- 541ه- 1055- 1146م) على المذهب السني المالكي ونظام الشورى في اختيار الأمير متخذين من العاصمة مراكش عاصمة لهم.

د) توسعات الدولة المرابطية:

يعتبر يوسف بن تاشفين[2] من أعظم الرجال الذين أنجبهم المغرب الإسلامي، وكان لهم أبعد الأثر في توجيه تاريخه، حيث قام يوسف بدور رئيسي في تاريخ المغرب خاصة وفي الأندلس عامة ليعمق جذور الإسلام، فمن خلال الدراسة سوف نبرز جهود يوسف بن تاشفين في بناء الدولة المرابطية.

أخذ يوسف بن تاشفين يتابع المهمة التي كانت على عاتقه، وهي جهاده للمخالفين لدعوة عبد الله بن ياسين المؤسس الديني لحركة المرابطين،[3]فوجه أربعة جيوش لقتالهم فاحتل قبائل المغرب قبيلة تلوى الأخرى، وفي جمادى الآخرة 462ه- 1070م توجت انتصاراته بفتح مدينة فاس سنة 464ه- 1071م، وبهذا امتد سلطان المرابطين فشمل جبال الريف وريف تامسنا، ووصل إلى إقليم طنجة،[4]وقد أصلح يوسف بن تاشفين مدينة فاس بعد دخوله إليها، فجعلها مدينة واحدة بعد أن كانت مدينتين، وأدار عليهما سورا حصينا، وأكثر فيها من بناء المساجد فأتم بذلك عمل الأدراسة في عاصمتهم أيضا.[5]

وبعد أن أصبح الأمير يوسف بن تاشفين سيد المغرب الأقصى بصورة فعلية أخذ يتابع جهاده من أجل استكمال المهمة وهي توحيد المغرب تحت قيادة واحدة، فأخذ ينظر في حرب سبتة وطنجة، فقام بإرسال جيشا ضخما بقيادة صالح بن عمران إلى طنجة سنة 470ه- 1077م فدخل المدينة ونجح في السيطرة عليها.[6]

أما بالنسبة لسبتة فقد صمدت إلى أن تمكن يوسف بمساعدة المعتمد ابن عباد الذي أمده بسفينة حربية من اقتحامها برًا وبحرًا سنة 477ه- 1084م،[7] وبذلك يكون قد وحد المغرب الأقصى كله تحت سلطاته من سجلماسة إلى طنجة.

---

[1]- ابن الأثير: المصدر السابق، مج8، ص ص 329- 330.

[2]- يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري أبو يعقوب أمير المسلمين وملك الملثمين سلطان المغرب الأقصى ويباني مدينة مراكش، توفي في500ه/ 1106/؛ خير الدين الزركلي: قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج8، ص 222.

[3]-أمين الطيبي:حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر،الدار العربية للكتاب،ليبيا،1982، ص20

[4]- بن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب –بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس-دار المنصور، للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 141؛ ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص51.

[5]- عبد الواحد المراكشي:المصدر السابق، ص27؛ جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين (447ه-668هـ/ 1056-1269م)، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، ص 30.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص248؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 247.

[7]- حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص ص 48-49؛ سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985ص 53.

كما تمكن يوسف من بسط نفوذه ووصل بحدوده إلى تلمسان والجزائر سنة 472ه-1079م،[1] وسيطر كذلك على جميع بلاد الريف ومدينة تنس سنة 474- 1081م[2] ثم مدينة وهران[3] وجبال الونشريس، وأعمال الشلف ثم الجزائر.[4]

وبهذا تكون المرة الأولى في التاريخ الذي يتوحد فيها المغرب الأقصى وجزء كبير من المغرب الأوسط تحت سلطان واحد وهو يوسف بن تاشفين.

وقد تمكن رجال الأمير يوسف من القضاء على كل سلطان كان للقبائل الزناتية شرقا تلمسان وحتى حدود مدينة الجزائر الحالية، فلم يتعدوا تلك الحدود، لأن بقية المغرب الأوسط وافريقية كانت تابعة لدولة بني زيري الصنهاجيين، فانفصل عن بني زيري أبناء عمهم بنو حماد المعروفون بأصحاب القلعة، وكان يطلق على هذه الأخيرة باسم بلاد القبائل لأن مناطقها جبلية، وتقع شرق مدينة الجزائر،بمعنى أن المغرب كله من طرابلس إلى المحيط أصبح خاضعا للصنهاجيين خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر ميلادي.

ويذكر المراكشي أن ابن خلدون كان يسمي الصنهاجيين الذين ينتسب إليهم بنو زيري وبنو حماد بصنهاجة الجيل الأول، ويسمي الصنهاجيين الذين ينتسب إليهم المرابطين بصنهاجة الجيل الثاني.[5]

وفي الأخير يمكن القول بأن يوسف بن تاشفين قد أحسن تنظيم دولته الواسعة التي امتدت من الجزائر إلى المحيط ومن طنجة إلى سجلماسة، وكان تنظيمه لها تنظيما قبليا خالصًا.

❖ في الأندلس:

في سنة 475ه-1082م وصل يوسف بن تاشفين إلى ذروة قوته وامتداد سلطانه في المغرب، فكانت المغرب تتمتع بوحدة سياسية ودينية قوية في ظل دولة المرابطين عكس ما كانت عليه الأندلس، فكانت هذه الأخيرة تعاني من تفكك سياسي واجتماعي تحت حكم ملوك الطوائف نتيجة ضعف الخلافة الأموية مما أدى بعد ذلك إلى سقوطها،[6] وبعد انقسام الأندلس إلى عدة إمارات عرفت بدول الطوائف، ويعرف رؤسائها كذلك بملوك الطوائف.[7]

---

[1]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 143.

[2]- هي آخر بلاد افريقية مما يلي المغرب، وهي مرسى صغيرة غربي مدينة الجزائر، بينها وبين وهران ثماني مراحل وإلى مليانة في جهة الجنوب أربعة أيام، وإلى تيهرت خمس مراحل، وهي مدينة حصينة داخلها قلعة صغيرة وينفرد العمال لحصنتها، يوجد فيها مسجد جامع وأسواق كثيرة، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص48؛ ابن الخطيب: الأعلام تح: أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص 156.

[3]- مدينة جزائرية كبيرة وميناء على خليج وهران بغرب الجزائر، تمتاز بصناعات الصدف ومنتجات الأعناب والزيتون وإنتاج الحبوب، وتجلب التجار من كل جهة بفضل إنتاجها ليسير به إلى بلدان أخرى،ابن الخطيب: الأعلام، المصدر السابق، ص 154؛ عبد الحكيم العفيفي: المرجع السابق، ص 516.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص247.

[5]- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 28.

[6]- عصام محمد شبارو: الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2002، ص ص 211-212؛ أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (ب. ط)،(ب. ت)، ص 46؛ عز الدين عمر موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ط1، دار الشروق، بيروت، 1983، ص 12؛ عبد الرحمان علي الحجي: المرجع السابق، ص421.

[7]-محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص14.

انهارت الأندلس اقتصاديا وسياسيًا، وأصبحت عرضة لخطر الممالك النصرانية المتمثلة في مملكة قشتالة وليون بزعامة ألفونسو السادس. بذلك تمكن ألفونسو أن يستولي على عدة حصون، متمثلة في سرقسطة وبلسنية.[1]

لقد رحب الفقهاء بفكرة الاستنجاد بالمرابطين فحظوا بمكانة مرموقة لدى الأمير يوسف، فكان يستشيرهم في الأمور الهامة، ولعبوا دورًا بارزا في الأحداث التي كانت في الأندلس، وكانوا بمثابة الوسطاء بين الشعب والأمير يوسف، فأجازوا له الدخول إلى الأندلس،[2] كذلك تلبية لنداء المعتمد بن عباد جاز يوسف بن تاشفين بقواته إلى الأندلس سنة 479ه- 1086م،[3]لكن بشرط أن يستلم الجزيرة الخضراء، فقبل المعتمد وكتب له عقد هبة الجزيرة الخضراء، وبعد حصوله عليها، استنفر سائر قواته للجهاد وانظم إلى قوات المعتمد في سهل زلاقة، وشرع في تحصين الجزيرة وترميم أسوارها وما تصدع من أبراجها وشحنها بالأسلحة والأطعمة، وأوكل حراستها إلى نخبة من رجاله وبعد أن نظم أمور الجزيرة توجه نحو اشبيلية،[4]في حين كان ألفونسو السادس يجمع كل قواه ويستعد للقاء المسلمين، وكان معه ثمانون ألف فارس يرتدون الدروع، أما بالنسبة للمسلمين فكان جيشهم يناهز خمسين ألف فارس،[5]التقى الجمعان فواجهت جيوش المسلمين جيوش أذفوش المسيحية وحقق انتصارا باهرًا وعرفت هذه المعركة بموقعة زلاقة بتاريخ 12 رجب 479ه- 2 نوفمبر 1086.[6]

ثم وجه ألفونسو اهتمامه نحو المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية وقرطبة، حيث يقال أن المعتمد كان أكبر وأعظم ملوك الطوائف.[7]

ومن الواضح أن ألفونسو حينما اختار مملكة المعتمد لم تكن نواياه طيبة، فكان يخطط إلى ضرب القوة الرئيسية لدى المسلمين لكي يتمكن بكل سهولة من اخضاع باقي الدول الإسلامية الأخرى.

- بدليل أن ألفونسو أرسل بعثة تتكون من 500 فارس برئاسة اليهودي ابن شالب لأخذ الجزية[8] فتجرأ هذا الأخير وأساء وأغلظ في القول للمعتمد، وأخذته العزة العربية فأمر بقتله

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص ص 247- 248.

[2]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص182.

[3]- سعدون عباس نصر الله: المرجع السابق، ص8.

[4]- مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام وهي مدينة قديمة أزلية ويعود أصل تسميتها إلى أشبالي معناه المدينة المنبسطة. أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 59؛ مجموعة من المؤلفين: التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، ط1، شركة النشر والتوزيع، الدارس، الدار البيضاء، 1991، ص27.

[5]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص - من 35إلى 56، 56.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص248؛ ليفي بروفنسال حضارة العرب في الأندلس، تر: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (ب. ت)، ص 25؛ جورج مارسيه: المرجع السابق، ص11؛ عز الدين عمر أحمد موسى، المرجع السابق، ص12؛ حسين مؤنس: سبع وثائق عن دولة المرابطين وأيامه في الأندلس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية مصر، 2000، ص16.

[7]- سعدون عباس نصر الله: المرجع السابق، ص 63.

[8]- السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 113.

وقتل من معه،[1]فكان ألفونسو ينتظر الفرصة التي تمكنه من الهجوم على دول الطوائف ووجد ألفونس الفرصة متاحة للثأر وحاول السيطرة على ما كان ملك للمسلمين، توسع ألفونسو السادس داخل طليطلة سنة 478ه- 1085م،فقامت ملوك الطوائف بالاستنجاد بالمرابطين فلبى نداء المستغثين يوسف بن تاشفين.[2]

وكان جواز المرابطين الثاني بقيادة يوسف بن تاشفين عام 481ه، 1088م[3] برسم الجهاد إثر اغتنام ألفونسو للفرصة التي أتيحت له فاستولى على حصن لبيط[4] وشحنه بالمقاتلين،[5]وكانت من نتائج هذه المعركة إدراك يوسف بن تاشفين أن ترف وثراء ملوك الطوائف وعدم تضامنهم خطر على الإسلام بالأندلس، مما دفعه بالعبور إلى الأندلس وضمها إلى مملكته سنة 483ه- 1090م،[6] لتحقيق غرضه ولكنه اتجه أولا إلى طليطلة الحاضرة الجديدة لمملكة قشتالة النصرانية وحاصرها وألفونس بها، ثم استولى على غرناطة واشبيلية عام 484ه- 1091م،[7]وكانت المرة الأخيرة التي يعبر فيها يوسف إلى الأندلس سنة 496ه- 1102م،[8]مرض يوسف واشتد به الداء وهو بمدينة مراكش إلى أن توفي في شهر محرم سنة 500ه- 1106م وقد بلغ عمره مئة سنة.

لم ينس واجبه اتجاه أمته، فأوصى ابنه وولي عهده بعدة وصايا منها: الحفاظ على المبادئ والتعاليم التي قامت عليها الدولة وكذلك المحافظة على المعاهدة المبرمة بين المرابطين والأندلسيين.[9]

وفي الأخير يمكن القول أن يوسف بن تاشفين استطاع توحيد المغرب والأندلس وجعل بلاد الأندلس تحت مظلة دولة المرابطين حتى بعد وفاته، وعلى نفس المنهج سار ابنه علي بن يوسف وواصل حركة الجهاد والعمل بوصية أبيه وبهذا أصبحت الأندلس ولاية مرابطية.

---

[1]- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 42؛ ابن خلكان: المصدر السابق، مج5، ص28.

[2]- حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1417ه- 1996م ص 30.

[3]- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 13.

[4]- حصن لبيط: قلعة حصينة، يقع على جبل شاهق على مقربة الورقة في قلب الأندلس ضمن أملاك بن عباد، وشحنه بالسلاح والمقاتلة واتخذوه قاعدة للإغارة على أراضي مرسية ويعتبر معتقل أمين، كانوا ينطلقون منه فينقضون كالبرق الخاطف على الأراضي المجاورة. أنظر: ابن أبي أثير: المصدر السابق، مج8، ص 344؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص 94؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص334.

[5]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 98.

[6]- حسين مؤنس: الثغر الأندلسي في عهد المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، 1992، ص 8؛ محمد بن إبراهيم ابن صالح الحسين بن صالح الحسين أبا الخيل: جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصر المرابطين والموحدين، طَ1، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، السعودية، 1998، ص - 32- 33.

[7]- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص77.

[8]- نفسه، ص 77.

[9]- مؤلف مجهول: مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005، ص 19؛ ابن عذارى المراكشي: البيان، المصدر السابق، ج4، ص 45؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس -عصر المرابطين والموحدين- ط1، مكتبة الخانجي، مصر ، 1980، ص 32.

أولاً: النصارى

1/ النصارى في اللغة والاصطلاح:

أ- لغة:

لفظة مشتقة من النصر[1]، سموا بهذا الاسم نسبة لبلدة بالشام يقال لها نصران[2] أو ناصرة.[3]

وكذلك نسبة إلى نصرته وهي قرية المسيح من أرض الجليل وتسمى هذه القرية ناصرة[4] ونصورية[5] وقيل إلى أنصاري.[6] لقوله تعالى: "قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلى الله قَالَ الحَوَارِيُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ الله."[7] وقيل لتناصرهم فيما بينهم.[8]

ب- اصطلاحًا:

هم الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام ابن مريم رسول الله المبعوث بعد موسى عليه السلام المبشر به في التوراة[9] وكتابهم الإنجيل،[10] لقوله تعالى: (يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١)[11]

وفي العصور المتأخرة أطلق عليها (المسيحية) أو على أتباعها، فالمسيحية هي النصرانية تمامًا.[12]

وانقسمت النصارى إلى اثنان وسبعون فرقة[13] من أبرزها: الكاثوليك (الملكانية)، اليعقوبية، والأريوسية.[14]

3- مناطق تمركز النصارى في بلاد المغرب والأندلس:

أ- في المغرب:

---

[1]- خالد الغامدي: الصراع العقائدي في الأندلس، ط1، مكتبة الكوثر، المملكة العربية السعودية، 1429، ص38.

[2]- البهوتي: كشاف القناع عن متن الإقناع، عالم الكتب، بيروت، 1983، ج3، ص118.

[3]- ابن منظور: المصدر السابق، ج5، ص 925.

[4]- هي قرية بالشام على ثلاثة عشر ميلا من طبرية، وذكر بعضهم أن فيها ولد المسيح عليه السلام، وأهل بيت المقدس ينكرون ذلك، والمدينة التي ناصر ت المسيح عليه السلام حيث دعا أتباعه بالنصارى. أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص572؛ عبد الحكيم العفيفي: المرجع السابق، ص 491.

[5]- مجموعة من المؤلفين: معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص 925.

[6]- خالد الغامدي: المرجع السابق، ص38.

[7]- الآية: 52 من سورة آل عمران.

[8]- ناصر بن عبد الله القفاري وناصر بن عبد الكريم العقل: المرجع السابق، ص 64.

[9]- المرجع نفسه، ص 65.

[10]- هو كتاب أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام يقصد به البشارة، لكن الأدق في التعبير عن الدعوة إلى النصرانية هو مصطلح التنصير ويتكون من أربعة أناجيل هي إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وانجيل يوحنا. أنظر : رفائيل نخلة اليسوعي: غرائب اللغة العربية، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1960، ص 245؛ خالد الغامدي: المرجع السابق، ص 45؛ محمد عمارة: المرجع السابق، ص 60.

[11] - الآية : 171 من سورة النساء.

[12]- ناصر بن عبد الله القفاري وناصر بن عبد الكريم العقل: المرجع السابق، ص ص64- 65.

[13]- الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص19.

[14]- خالد الغامدي: المرجع السابق، ص 41.

إن المادة التاريخية المتعلقة بتاريخ المسيحيين المستعربين شحيحة، ويزداد هذا الفقر تعاظما بالنسبة لمسيحي المغرب الأقصى، ضف إلى ذلك صعوبة تحديد المصطلح الذي يشير إلى هذه الطائفة، فمثلا عند ابن الأثير كان يسميهم المماليك الأفرنج والروم[1]، في حين استخدم آخرون لفظ النصارى والنصارى المعاهدين على من كان لهم عهد مع المسلمين[2]، بينما تسميهم بعض المصادر معاهدين فقط.[3]

أما ابن عذراى اكتفى باسم الروم[4]، في حين أطلق على نصارى الأندلس لفظ عجم الأندلس[5]، بينما اكتفى ابن خلكان بكلمة "مماليك"[6]، في حين أطلقت عليهم بعض المصادر الأخرى اسم العلوج[7] والمستغربين.[8]

بالنسبة للمغرب الأقصى كان تواجدهم ضئيلا، حيث كان عددهم يزول بعد الفتح الإسلامي للمغرب[9]، غير أن هذا لم يمنع وجود بقايا أقلية صغيرة تدين بالنصرانية في بعض مناطق المغرب الأقصى بعد الفتح الإسلامي[10]، فأغلب سكان تامسنا وتادلا كانوا على دين النصرانية واليهودية، والإسلام بها قليل[11]، بالإضافة إلى فاس[12]، حيث جاء في بعض المصادر الإسلامية أن إدريس الأول قضى على جميع النصارى[13] وكسر شوكتهم وأجبرهم على الدخول في الإسلام، إلا أن الطائفة النصرانية ظلت متواجدة إلى غاية منتصف القرن (5ه/ 11م) في المغرب الأقصى[14] والمغرب الأوسط بتلمسان وكانت تضم بعض الكنائس.[15]

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص67.
[2]- مجهول: المصدر السابق، ص ص 90- 93، حسين مؤنس: مرجع سابق، ص 460.
[3]- ابن الخطيب: الإحاطة: المصدر السابق، ج1، ص114؛ أبو العباس أحمد محمد التلمساني الونشريسي: أسنى المتاجر في أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، تح: حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات.الإسلامية في مدريد، العدد 1- 2، 1377ه - 1907م، ص 11.
[4]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 102 ؛ مجهول: الحلل الموشية، المرجع السابق، ص 102.
[5]- عبادة كحيلة: تاريخ النصارى في الأندلس، ط1، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، 1993، ص 80.
[6]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 51.
[7]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 23؛ حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 460.
[8]- عصام شباروا: المرجع السابق، ص129؛ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1990، ص 70.
[9]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 68.
[10]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 48.
[11]- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 20.
[12]- الجزنائي: المصدر السابق، ص 23.
[13]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 68.
[14]- فاطمة بوعمامة: اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين (7- 9ه/13- 15م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2008- 2009، ص32.
[15] - إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 68.

مما يلاحظ أن خلال عصر المرابطي لم تذكر المصادر أي اصطدام وقع مع الطوائف المسيحية مما يدل على أن عددهم كان قليلا،[1] هذا ما دفع ابن عذارى إلى القول بأن علي بن يوسف أول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب.[2]

وبقيام دولة المرابطين بدأ عدد النصارى ينمو ويتزايد بصورة فظيعة عن طريق جلبهم كمرتزقة[3]، حيث عندما عظمت شوكة الأمير يوسف اشترى جملة من الأعلاج (النصارى) وصل عددهم نحو مائتين وأربعين فارس لتقوية الجهاز العسكري[4] وظل تواجدهم في عهد تاشفين ثم ابنه إسحاق الذي ولاه أبوه عهده حيث كان عنده من النصارى ما يقارب أربعة ألاف مسيحي.[5]

كما يعد أسرى الحرب رافدًا أخر لتوافد المسيحيين وتواجدهم بأرض المغرب الأقصى وما يؤكد ذلك أن معركة الزلاقة وفرت عددًا كبيرا من الأسرى المسيحيين الذي بلغ عددهم نحو عشرين ألفًا.[6]

ب- في الأندلس:

أما في بلاد الأندلس بعد الفتح الإسلامي كانوا يشكلون أقليات كبيرة في القواعد الرئيسية كقرطبة واشبيلية وطليطلة[7] والتي توجد فيها أساقفة[8] كأسقف بينبلونة ممثلا لمملكة نافارا بالإضافة إلى الأديرة[9] يزاولون فيها شعائرهم الدينية بكل حرية،[10] وقاموا بالمحافظة على أراضيهم وأموالهم، حيث في عصر الإمارة تقلد المستعربون مناصب هامة ولم يتعرضوا لأي مضايقة رغم حركة الاستحقاق التي قاموا بها في القرن 3ه/ 9م.[11]

أما في عصر الخلافة فإن الانطباع يوحي بتعايش أقل نزاع بين العناصر المسيحية وبين المسلمين وعليه فإننا نجد من النصارى من وصل في عهد عبد الرحمن الثالث إلى العمل بالقصر[12]، بينما في عصر الطوائف استغلوا ضعف الأمراء ليشتملوا عليهم ويستولوا على مقاليد الأمور وأصبحوا أصحاب الأمر والنهي.[13]

---

[1]- البكري: المصدرالسابق، ص 76.
[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 324.
[3]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص98.
[4]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 23.
[5]- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 131.
[6]-إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 69.
[7]- ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص 106.
[8]- مارمول كربخال: إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دار النشر، المعرفة، الرباط، 1989، ج2، ص48..
[9]- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج1، ص15.
[10]- ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص 106.
[11]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص70.
[12]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 54.
[13]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 70.

ثانيا: النصارى داخل الدولة المرابطية

1- حضور النصارى داخل الدولة المرابطية:

الوضعية الاجتماعية للنصارى:

سبق أن أشرت إلى وجود النصارى في نواحي متفرقة من البلاد فلما قامت دولة المرابطين استظلت هذه الجالية كغيرها من طبقات وطوائف المجتمع بنظام الحكم الجديد وقد اختلفت أوضاعهم نتيجة للأحداث التي مرت بها المنطقة،[1]وعلى ما يبدو أن النصارى عرفوا وضعية محترمة في ظل الدولة المرابطية، إذ أن المرابطون صانوا التنظيمات الاجتماعية والإدارية للطوائف النصرانية، بحيث تركوا لهم نظامهم الإداري والمدني المتمثل في نظام القماسة الذي كان يتولى إدارته زعيم عجم الذمة.[2]من بينهم ابن القلاس،[3]وهذا ما يفهم من كلام ابن عذارى "وفي خلال ذلك سفر إلى رأس من رؤوس المعاهدة بالحضرة يعرف ابن القلاس يوبخه على استدعائه ويلومه على تضمنه بما لا يفي به ولا يقدر عليه.[4]

حيث يكلف القومس بجمع الجزية المفروضة على النصارى بشكل منتظم ويقدمها عنهم إلى السلطة المركزية،[5] حيث يقول ابن الخطيب في ذلك "وكان يرأسهم أشياخ من أهل دينهم أولوا حنكة ودهاء ودراية ومعرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم."[6]

أما فيما يخص الجانب القضائي فقد كان للنصارى قضاء خاص، لم تكن الدولة تتدخل في شؤونه إذ خصصت لهم قاضيا ينظر في أمور الجنايات والنزاعات عرف بقاضي النصارى، أما القضايا التي يكون فيها طرفا النزاع مسلما ومسيحيا، فمن الطبيعي أن يفصل فيها قاضي مسلم طبقا لأحكام الشريعة[7] ومن المظاهر الاجتماعية الأخرى الخاصة بالنصارى أن الدولة المرابطية خصصت لهم مقابر خاصة، وهذا تماشيا مع عاداتهم وتقاليدهم في دفن موتاهم وتعرف هذه المقابر باسم مقابر الذميين، وقد شارك النصارى المسلمين في استغلال المرافق الاجتماعية حيث سمح لهم باستقاء المياه مع المسلمين من بئر واحدة ونظرا للتسامح الديني معهم وصل الحد بالمسلمين إلى السماح للنصارى بالخروج مع المسلمين في صلاة الاستسقاء.[8]

كما لا يفوتنا الأمر في اظهار مدى احترام المرابطين لحقوقهم الاجتماعية والضرب على أيدي كل من حاول المس بها، حيث يذكر أن مجموعة من مسيحي غرناطة ذهبت إلى

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 364.

[2]- ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص103؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، المرجع السابق، ص536؛ ابن سهل: المصدر السابق، ص59.

[3]- ابن القلاس: هو يحي بن نجاح بن القلاس أبو الحسين القرطبي حج واستوطن مصر ومات له كتاب سبل الخيرات في المواعظ والوصايا والزهد والرقائق، خير الدين الزركلي: المصدر السابق، ص 174.

[4]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص17.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص73.

[6]- ابن الخطيب: المصدر السابق، ج1، ص107.

[7]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 74.

[8]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 57.

بلاط علي بن يوسف لتقديم شكوى حول التعسف والجور الذي تعرضت له من قِبَلْ عامل المدينة عمر ينالة، فلما ثبت للأمير حجتهم أمر بسجنه وأنصفهم من ظلاماته.[1]

وعلى هذه الحقيقة يمكن القول أن النصارى تمتعوا بمكانة لا بأس بها في كنف الدولة المرابطية إلا أن هذا لم يمنع وجود براهين تثبت ما تعرضوا له من تشدد من طرف الفقهاء وذلك بمنع المسيحيات من الدخول إلى الكنائس إلا في أيام الاحتفالات والأعياد وذلك بدعوى أنهن يدخلن الكنائس لممارسة الدعارة مع القسيسين، واجبارهم على الختان[2] وعلى الغالب أن النصارى كان لهم لباس زي خاص يخالف زي المسلمين، وعلى العموم كيف ما كان تشدد الفقهاء من عدمه في المرحلة الأولى من حكم المرابطين لم يبلغ ما بلغه في المرحلة الأخيرة من أيامهم إذ تعرض مسيحيو الأندلس لمحنة شديدة تُعَدُ بمثابة معلمة أساسية ميزت العصر المرابطي وهي محنة التغريب،[3]لأن تغريب النصارى من الأندلس كان إجراء عادلاً نتيجة لنقضهم العهد وخيانتهم للمواثيق باتصالهم بالعدو واطلاعهم على عورات المسلمين، ومن هنا كان القرار الحاسم وهو شل حركتهم وابعادهم عن مواطن الاتصال بالعدو ونقلهم إلى المغرب ليكونوا تحت سمع وبصر أمير المسلمين، وهذا ما دفع بعض الكتاب إلى القول بأن أهل الذمة عاشوا في اضطهاد في دولة المرابطين وأنهم لم يتمتعوا بحريتهم الدينية.[4]

وعليه يمكن القول أن وضعية النصارى في الدولة المرابطية تميزت بروح تسامح كبيرة خاصة في عهد علي بن يوسف بن تاشفين الذي منح لهم الحرية في جميع المجالات عكس ما قاله بعض الكتاب أن أهل الذمة من بينهم النصارى عاشوا في اضطهاد في دولة المرابطين وأنهم لم يتمتعوا بحريتهم الدينية، فربما يعود هذا إلى الأحداث السياسية التي كانت تشهدها هذه الفترة.

2- اسهامات النصارى في الدولة المرابطية:

تعد فئة النصارى كباقي الفئات المكونة للمجتمع حيث أن هذه الفئة وصلت لمرتبة مرموقة في ظل الدولة المرابطية، فساهموا في مختلف مجالات الحياة العامة حيث قاموا بأدوار هامة في شتى المجالات،[5] فالنصارى لقوا عناية بالغة منذ العهد المرابطي واشتغلوا في أهم المراكز السياسية والعسكرية وتقلدوا مناصب حساسة في الدولة،[6] حيث تجلى دورهم في عدة مجالات في مقدمتها المجال العسكري، إذ يشير" ابن خلدون" إلى استخدام النصارى في الجيش بقوله:" فاحتاج الملوك بالمغرب أن يتخذوا جندا من هذه الأمة المتعودة

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 75.

[2]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 58.

[3] عيسى بن الذيب: المرجع نفسه، ص 59.

[4]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 367.

[5]- عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين -عصر الطوائف الثاني (510ه-546ه)، (1116م- 1151/)-، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص33.

[6]- سميرة نميش: دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين (7- 10ه/ 13- 16م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة تلمسان، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 2013/ 2014.

الثبات والزحف وهم الافرنج،[1] إذ أن النصارى شاركوا في المجال العسكري بحيث أن الكتائب المسيحية في العصر المرابطي شكلت قوة لها وزنها وفاعليتها، إذ تجلى ذلك في اضطلاعها بدور الحرس السلطاني الأول في تاريخ المغرب الأقصى،[2] إذ تعدى الأمر إلى أن أصبح من هم كحرس شخصي للأمير،[3] إذ تعود فكرة استخدام الجند المسيحي لثقة المرابطين بولائهم وبعدهم عن الدسائس والمؤامرات[4] ولم يلبث هذا الحرص أن أصبح ركنا أساسيا من أركان الجيش المرابطي ولا سيما أن "عليا" قد ضم إليه الكثير منهم، إما عن طريق الشراء أو بواسطة الأسرى في الحروب التي خاضها ضد المسيحين وتجلى دور هذا الحرس، بأن تعدى حراسة معاقل المغرب وذلك بمشاركته في حروب الدولة مع الموحدين،[5] فمثلا تذكر لنا المصادر العربية اسم **"الروبرتير"** قائد الروم في الجيش المرابطي[6].

ومما لا شك فيه أن استخدام العنصر النصراني في الجيش كانت له انعكاسات هامة على الجيش المرابطي بشكل عام، إذ أدخل هؤلاء طرقا جديدة في القتال مستوحاة من البيئة الافرنجية المختلفة عن البيئة الصحراوية، فعمل هؤلاء على تطوير صناعة الأسلحة والاستفادة منهم كالعرادات[7]والمنجنيقات[8] وتمخض عن استخدامهم في الجيش تغير فكرة التوازن القبلي داخل قيادات الجند، فبعد أن كانت القيادات في المرحلة الصحراوية من نصيب القبائل المكونة للحلف الصنهاجي، تغيرت هذه الوضعية لتصبح حكرا على لمتونة بفضل اعتمادها على هؤلاء المرتزقة.[9]

---

[1]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 72.

[2]- ابن عذارى: البيان، المصدر السابق، ج4، ص 102؛ إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 88.

[3]- ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص 23؛ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ج4، ص 268؛ أمين بوحلوفة: المرجع السابق، ص 80.

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 89؛ هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالمماليك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، الأردن 1983، ص52.

[5]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 72.

[6]- الروبرتير: قائد نصراني أصله من برشلونة وأرغون ومن كبار رجال دولته ، وقع في أسر قائد الأسطول المرابطي علي بن ميمون فأتى به إلى مراكش حيث دخل في خدمة المرابطين ويعتبر قائد حامية في الجيش المرابطي. وأخلص لهم. أنظر: البيذق: المصدر السابق، ص 47؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 103؛ عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص38؛ أحمد عزاوي: رسائل موحدين، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنطرة، 2001، ج2، ص14.

[7]- العرادات: هي آلة دون المجانيق حجما، تستخدم لقذف الشهب النارية، كما تستخدم لرمي السهام والحجارة، لكن الغالب على وظيفتها هو رمي قدور النفط. أنظر: حفصة معروف: المعارك البحرية في العهد الموحدي (طبيعة الاستعدادات وطرق القتال)، مجلة عصور، ع20، جانفي-جوان، جامعة وهران، الجزائر، 2013، ص 5.

[8]- المجنيقات: نوع من أنواع الأسلحة الثقيلة الخاصة بالهجوم يستعمل في حصر المدن برا أو بحر، وهو سلاح شديد النكاية بالأعداء يشبه في أيامنا هذه مدفعية الميدان الثقيلة. أنظر: حفصة معروف: المرجع السابق، ص5، عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص73.

[9]- ابراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 73.

إذا كان الجنود المسيحين قد قووا الجهاز العسكري إلا أنهم لعبوا دورا في إسقاط المرابطين، عندما تآمروا مع الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي الذي أمنهم على أنفسهم مقابل مساعدته للدخول إلى عاصمة الدولة مراكش.[1]

أما على الصعيد السياسي تقلدوا عدة مناصب في البلاط المرابطي ووظائف عليا في الدولة وسمحت لنفسها أن تكون من طبقة النبلاء في تلك الفترة[2] في عهد علي بن يوسف بن تاشفين.[3]

وكان لهم دور كبير في تقديم البيعة لكل أمير مرابطي جديد مما يعكس النفوذ الذي تمتعوا به داخل البلاط، إذ بلغ عددهم في العصر المرابطي إلى أربعة آلاف وكان معظمهم في فاس.[4]

كما برز دور الروميات اللواتي أصبحن يتدخلن في الحكم مما أكسبهن مكانة هامة في العصر المرابطي،[5] وفي الأندلس لعب النصارى دورًا سياسيًا كبيرًا، إذ تمكن بعضهم من استغلال الانقسامات التي اندلعت في السنين الأخيرة من الحكم المرابطي وتأسيس العديد من الإمارات المستقلة.[6]

وفي الجانب الاجتماعي حظي النصارى بمكانة اجتماعية لا بأس بها من خلال مشاركتهم في وظيفة جباية الأموال،[7] فضلا عن اشتغالهم بالطب والتجارة،[8] ولا شك أن الأندلسيين مسلمون ونصارى كانت لهم مكانة عند الأمراء، فقد ساهموا بقسط كبير في الإصلاحات الإدارية التي نهضت بها دولة المرابطين.

بالإضافة إلى أن النصارى نقلوا بعض العادات الاجتماعية والاحتفالات التي تأثر بها المغاربة والأندلسيون.[9]

أما في الجانب الاقتصادي فساهم النصارى في تنشيط بعض الموانئ التجارية في بلاد المغرب والأندلس.[10]

وساهموا في تطوير المجال الزراعي وعمارة المدن،[11]أما على الصعيد الديني فالنصارى تمتعوا بدرجة التسامح الديني ومن مظاهره زواج الأمراء المرابطين بالنصرانيات،[1] فضلا عن امتلاكهم كنيسة متميزة في البنيان وغنية بالثروات.[2]

---

[1]- المرجع نفسه، ص90.

[2]- أمين بوحلوفة: المرجع السابق، ص80.

[3]- علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي: أمير المسلمين ثاني سلاطين الدولة المرابطية، ولد سنة 477ه/1083/ وعهد إليه أبوه بالملك سنة 497ه/ 1103م وبويع إثر وفاته، توفي بمراكش في 537ه/ 1443م، كان ملكا عظيما عالي الهمة. أنظر: البيذق: المصدر السابق، ص40.

[4]- إيمان عبد الرحمان: المرجع السابق، ص4

[5]- سميرة نميش: المرجع السابق، ص84؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص97.

[6]- مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 120؛ إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 89.

[7]- مجهول: المصدر السابق، ص- ص 84-85؛ حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 411.

[8]- مارمول كربخال: المرجع السابق، ج2، ص 128.

[9]- إيمان عبد الرحمن: المرجع السابق، ص 5.

[10]- مارمول كربخال: المرجع السابق، ج2، ص128.

[11]- ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص107.

ومن هذا كله يمكن أن نستخلص أن النصارى لعبوا أدوارًا هامة على مستويات شتى في المغرب الأقصى في عصر المرابطين في جميع الأصعدة بفضل التسامح الديني الذي تمتعوا به ما جعلهم يتبوؤون مناصب سياسية وإدارية وعسكرية وغيرها كالاقتصاد والثقافة، كما ساهموا بحظ وافر في إثراء البناء الحضاري للمجتمع المغاربي والأندلسي، كما أثروا بدرجات متفاوتة عبر العصور في مجريات الأحداث فهم عاشوا يتمتعون بعدالة ولاة الأمر.

[1]- إيمان عبد الرحمن: المرجع السابق، ص6.

[2]- عبد العزيز شاكي: حضور أهل الذمة في المجتمع الأندلسي -عامل استقرار أم باعث فوضى 459ه- 522ه/ 1066م-1128، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ع 12، جامعة المسيلة، 2017، ص 265.

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستي لهذا البحث توصلت إلى مجموعة من النتائج والتي حاولت تقديمها على شكل النقاط الآتية:

– يتضح لي أن أهل الذمة هم المعاهدين من أهل الكتاب من النصارى واليهود من مواطني دار الإسلام، فشرع لهم الإسلام الضمان والأمان شرط دفع الجزية.

– حرص الإسلام بالرفق بأهل الذمة ومعاملتهم معاملة حسنة، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:" من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة."

– مساواة الإسلام بين أهل الذمة والمسلمين وكفل لهم القرآن والسنة حقوقهم الكاملة.

– أن أهل الذمة كغيرهم من طبقات المجتمع عاشوا يتمتعون بعدالة ولاة الأمر عكس ما قيل عنهم أنهم عاشوا في اضطهاد.

– إن روح التسامح كانت السمة الظاهرة في الدولة المرابطية مع أهل الذمة.

– قامت دولة المرابطين على أسس دينية استمدت تعاليمها وأحكامها من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي نادى بها عبد الله بن ياسين بين قبائل الملثمين ليكملها يوسف بن تاشفين، حيث قام هذا الأخير بدور رئيسي في تاريخ المغرب خاصة وفي الأندلس عامة ليعمق جذور الإسلام، وكانت دولتهم ذات نظام عادل يسوده الأمن والاستقرار.

– لقي اليهود معاملة حسنة في ظل الحكم المرابطي في المغرب والأندلس التي كانت قائمة على التسامح الديني والعدل والمساواة إذ جعلتهم يتبوءونمناصب سياسية وا إدارية.

– احتل اليهود والنصارى مكانة اجتماعية هامة في الدولة المرابطية فكانوا يمارسون عاداتهم وتقاليدهم وشعائرهم الدينية بكل حرية، كما كان لهم دور كبير في الجانب الاقتصادي حيث ساهموا بشكل كبير في حركة التجارة، وفي إثراء رصيد البلاد الحضاري فضلا عن مشاركتهم في البناء والعمران.

لعب النصارى أدوار ً ا بارزة في جميع الأصعدة بفضل التسامح الديني الذي تمتعوا به ما جعلهم يتقلدون مناصب في الإدارة والجيش فضلا عن مشاركتهم في حرس البلاط.

– عاش أهل الذمة من اليهود والنصارى داخل المجتمع الإسلامي كجزء لا يتجزأ منه يتفاعلون معهم ويؤثرون فيه ويتأثرون به.

ورغم أنني قمت بدراسة موضوع أهل الذمة في العهد المرابطي من خلال حضورهم وا إسهاماتهم في الدولة المرابطية، إلا أن هناك جوانب لا تزال تحتاج إلى الدراسة من قبل اللاحق من الباحثين مثل:

–الحضور السلبي لأهل الذمة.

–دراسة الموضوع في حضور المادة المصدرية النصرانية.

– البحث عن إسهامات أهل الذمة من خلال النص النوازلي.

الملاحق

الملحق رقم 01: مراكز استيطان المسيحيين في المغرب والأندلس في عصر المرابطين[1]

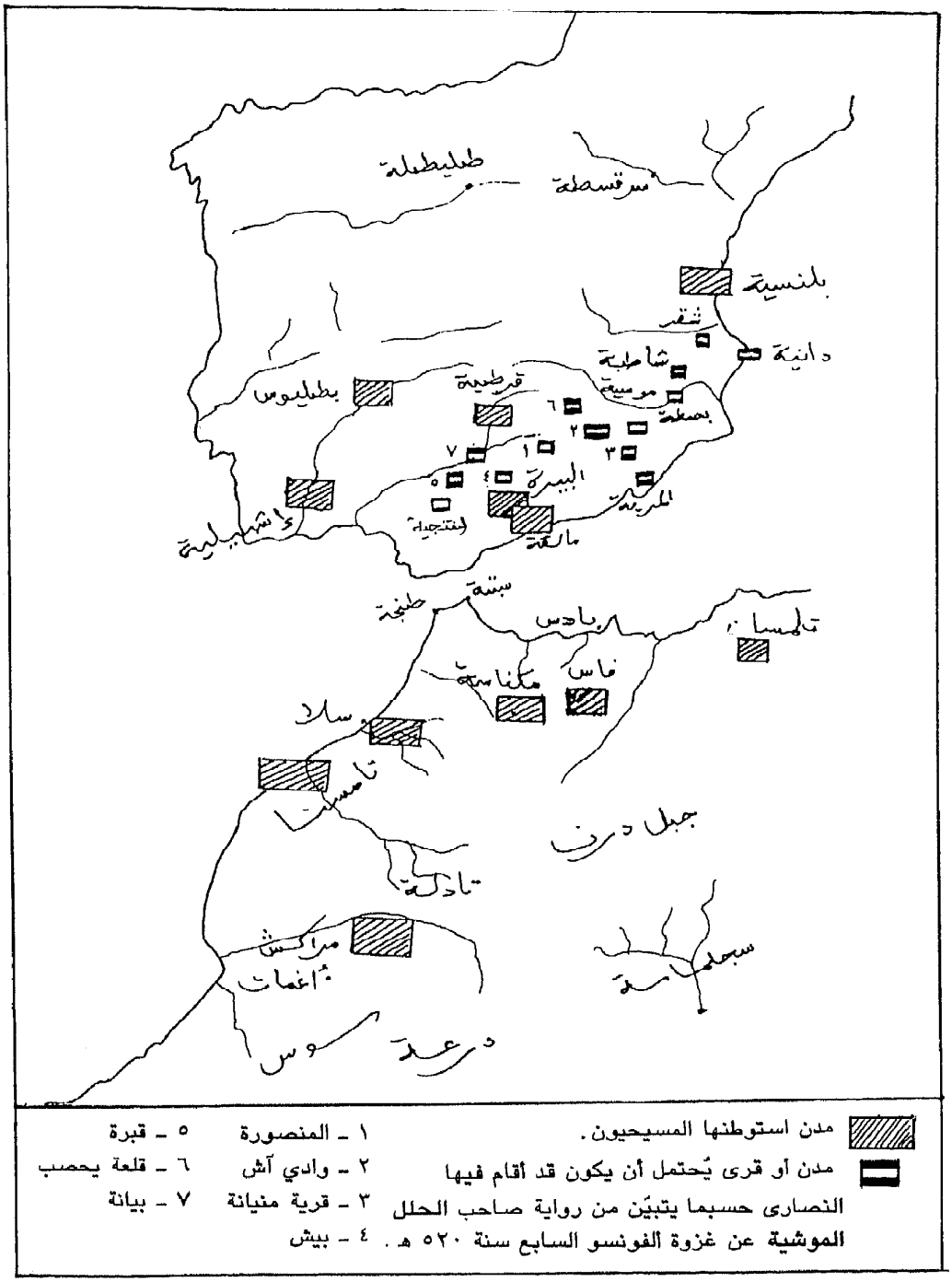

[1]– إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 254.

الملحق رقم 02: مناطق التجمعات اليهودية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين[2]

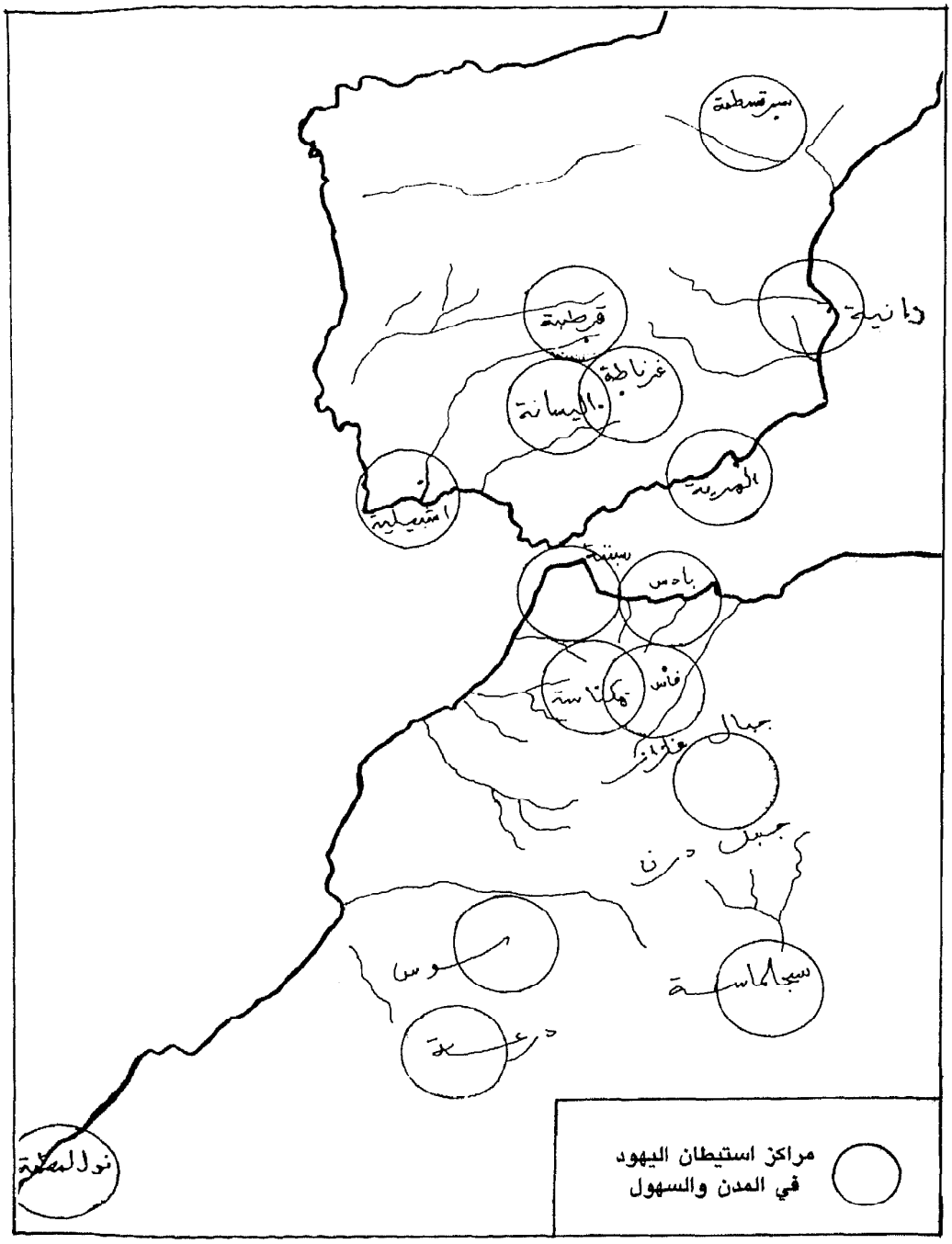

[2]– إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 255.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم (ورش عن نافع)

-السنة النبوية

أولا: المصادر:

ابن أبي دينار، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (حي سنة 1092هـ/1681م):

1-الأنيس المطرب -بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس-دار المنصور، للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

2- المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تح: محمد شمام، ط2، تونس، 1968

ابن الآبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ/1260م):

3-الحلة اليسراء، تح: حسين مؤنس، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1963، ج2.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجرزي (630هـ/1233م):

4- الكامل في التاريخ، تصحيح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ج8.

ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد السلماني الغرناطي (ت776هـ/1375م):

5-الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ج1.

6- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

7- الأعلام تح: أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.

ابن السعيد المغربي (ت685هـ/1286م):

8- المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، ج2.

ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت1025هـ/1616م):

9-جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1973.

ابن القطان، أبي محمد حسن بن علي بن عبد الملك الكتاني (ت628هـ/1230م):

10-نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

ابن القيم الجوزية، شمس الدين ابن عبد الله محمد بن أبي بكر (ت1352م):

11-أحكام أهل الذمة، تح، أبو البراء يوسف بن أحمد البكري وأبي أحمد شاكر توفيق العاروري، ط1، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، 1997، مج1.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي (ت324هـ/990م):

12-صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت300هـ/913م):

13-المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، (د. ط)، 1889.

ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد البرمكي الإربلي (ت681هـ/1282م):

14-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، 1944، ج7.

ابن سهل، أبو الأصبع عيسى بن سهل الأسدي الجياني (ت486هـ/1093م):

15-وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي للنشر والتوزيع. القاهرة، مطبعة العربية الحديثة، 1980.

ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (حي سنة 712هـ/1312م):

16-البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ليفي بروفنسال وج. كولان، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج1، ج3.

17- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج4.

ابن كثير، عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت774هـ/1373م):

18- البداية والنهاية، ومعه نهاية البداية والنهاية في الفترة والملاحم- تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 2005، ج8

أبو يوسف، بن يعقوب بن إبراهيم (ت182هـ/798م):

19-الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1979.

البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م):

20-المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، (د. ط)، (د. ت).

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت 808هـ/1405م):

21-تاريخ ابن خلدون - المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر- تح: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج2.

البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت555هـ1160م):

22-أخبار المهدي بن تومرت وبداية الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.

الجزنائي، أبو علي حسن الفاسي (ت766هـ/1355م):

23-جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي (ت727هـ/1327م):

24-الروض القرطاس في خبر الأقطار تح: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

خير الدين الزركلي:

25-قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، الأجزاء 2، 8.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الدمشقي (ت748هـ/1374م):

26- سير أعلام النبلاء تح: بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/1897م):

27- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج2

الشافعي، أبي الحسن علي بن محمد الدريهم المصري (ت762هـ):

28-منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، منشورات محمد بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

الشريف الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس (ت1065م):

29-وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تصحيح ونشر: هنري برين، الجزائر، دار الكتاب، 1957

الشهرستاني أبو الفتح محمد عبد الكريم (ت548هـ/1153م):

30- الملل والنحل، تح: أمير علي حنا وعلي حسن فاعود، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1993، ج1.

الطبراني، الحافظ أبي القاسم بن سليمان بن أحمد (ت360هـ/970م):

31-المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، ط2، مطبعة الزهراء الحديثة، بغداد، 1984، ج23.

عبد الواحد المراكشي، أبو محمد بن علي التميمي (ت647هـ/1249م):

32-وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1997.

القرطبي، عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت435هـ/1043م):

33-الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، ج8.

الكاساني، علاء الدين أبي بكر بن مسعود الحنفي (ت587هـ/1191م):

34-كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، مج7.

المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي الحسيني البعلي (ت845هـ/1441م):

35-تاريخ اليهود وأثارهم في مصر، تح: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، مصر، (د. ت)

مؤلف مجهول:

36-الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979

37- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (ب. ط)، (ب. ت).

38- مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت731هـ/1330م):

39- نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: علي بوملحم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ج6.

الوزان، أبو علي الحسن بن محمد الفاسي (حي سنة 957هـ/1550م):

40- وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993،ج1

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت292هـ):

41-تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1995، ج1.

ثانيا: المراجع باللغة العربية:

1)أبا الخيل محمد الحسين: جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصر المرابطين والموحدين، طَ 1، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، السعودية، 1998.

2)أبو خليل شوقي: أطلس التاريخ العربي، الإسلامي، دار الفكر، دمشق، (ب. ط)، 2005

3)أبو رميلة هشام: علاقات الموحدين بالمماليك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، الأردن 1983.

4)بشير عبد الرحمان: اليهود في المغرب العربي،ط1،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001

5)بنسباع مصطفى: السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف-ما بين عصري المرابطين والموحدين، ط1، مطابع الشويخ، تطوان، 1999.

6)بوتشيش إبراهيم القادري:مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د. ت)،

7)الجمل شوقي عطا اللهوا إبراهيم عبد الله الرزاق: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996

8)الحجي عبد الرحمان علي: التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة، 897هـ/1492، ط2، دار القلم، دمشق، 1981.

9)حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ج1.

10) حسن أحمد محمد خليفة: تاريخ الديانة اليهودية، ط1، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1997

11) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس -عصر المرابطين والموحدين- ط1، مكتبة الخانجي، مصر ، 1980

12) الخربوطلي علي حسن: الإسلام وأهل الذمة، إشراف: محمد توفيق عويضة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1969

13) دندش عصمت عبد اللطيف: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين –عصر الطوائف الثاني (510هـ–546هـ)، (1116م– 1151/)–، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988

14) ـــــــــــــ: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430–515هـ/1038–1121م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988

15) رية عطا علي محمد شحاته: اليهود في بلاد المغرب الأقصى،ط1،دار الكلمة للطباعة والنشر، سوريا،1999.

16) الزجيلي وهيبة: فقه الإسلام وأدلته، ط2، دار الفكر، دمشق، 1985،ج6

17) زنيبر محمد: المغرب في العصر الوسيط –الدولة –المدينة – الاقتصاد، ط1، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1999.

18) السيد أبو مصطفى كمال: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، 1996.

19) السيوطي خالد عبد الحليم: الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2002.

20) شحلان أحمد: التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2006

21) الشنتاوي أحمد وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، مج9

22) الصلابي علي محمد دولة المرابطين، دار ابن الجوز ي، القاهرة، 2007

23) ـــــــــــــ: فقه التمكين عند دولة المرابطين، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2006م

24) ـــــــــــــ:الجوهر الثمين لمعرفة دولة المرابطين،ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامي، مصر، 2003م

25) طعيمة صابر: التاريخ اليهودي العام، ط3، دار الجيل، بيروت، 1991، ج1.

26) طه جمال أحمد: الحياة الاجتماعية في المغرب الإسلامي-عصر المرابطين والموحدين، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004

27) ـــــــــــــــ: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين (447هـ-668هـ/ 1056-1269م)، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، 2001.

28) الطيبي أمين: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1982.

29) العبادي أحمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (ب. ط)،(ب. ت).

30) عباس نصر الله سعدون: دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985

31) عبد الحميد سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية،1990، ج3، ج4.

32) عبد الكريم أحمد نريمان: معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1969

33) عبد المنعم حمدي: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1997

34) العروي عبد الله: مجمل تاريخ العرب، ط2، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، 2000

35) عمارة محمد: معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ط2، دار النهضة للنشر والتوزيع، مصر 2004،ج1

36) عمر موسى عز الدين: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ط1، دار الشروق، بيروت، 1983

37) عنان محمد عبد الله:عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م

38) غالي الذهبي إدوارد: معاملة المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط1، مكتبة غريب، (د. م)، 1993.

39) الغامدي خالد: الصراع العقائدي في الأندلس، ط1، مكتبة الكوثر، المملكة العربية السعودية، 1429

40) الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1990

41) فياض عطية: فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة، ط1، دار النشر الجامعات، مصر، 1999

42) قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، ط1، دار الشروق، بيروت، 1993

43) القرضاوي يوسف: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط6، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر، بيروت، 1994

44) القفاري ناصر عبد الله و العقل ناصر بن عبد الكريم: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة –عرض نقدي تاريخي–، ط1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، 1992

45) كحيلة عبادة: تاريخ النصارى في الأندلس، ط1، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، 1993

46) الكعبي علي عطية: التعايش السلمي بين الأديان السماوية، ط1، مكتبة عدنان، للطباعة والنشر، بغداد، 2014

47) كنيب محمد: يهود المغرب، تح: ادريس بن سعيد، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط، 1998.

48) مجموعة من المؤلفين: التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، ط1، شركة النشر والتوزيع، الدارس، الدار البيضاء، 1991

49) محمود أحمد حسن: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ت).

50) المسيري عبد الوهاب: من هو اليهودي؟ ط1، دار الشروق، القاهرة، 1997.

51) المضيان ماجد بن صالح: دور أهل الذمة في إقصاء الشريعة الإسلامية ، تقديم: عبد الله بن عمر الدميجي، دار الهدى النبوي، مصر، دار الفضيلة، السعودية، 2007م

52) المغراوي محمد: الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، جذور النشر، الرباط، 2006.

53) المنوني محمد: حضارة الموحدين، ط1، دار نوبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989.

54) المودودى أبو الأعلى: حقوق أهل الذمة، كتاب المختار، (ب. ط)، (ب. ت)

55) مؤنس حسين: أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987

56) ـــــــــــــ: سبع وثائق عن دولة المرابطين وأيامه في الأندلس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية مصر، 2000

57) ـــــــــــــ: فجر الأندلس -دراسة من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية- (711- 756م)، ط1، دار المناهل، بيروت، 2002

58) ـــــــــــــ: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، (ب. ط)، 2004

59) النازي عبد الهادي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور لليوم، الهيئة العامة للمكتبة، الإسكندرية 1987، مج5

60) وافي علي عبد الواحد: اليهودية واليهود، ط5، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2005.

61) الوراثكلي حسين: ياقوتة الأندلس -دراسات في التراث الأندلسي-دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994

ثالثا: المراجع المعربة:

1) أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، تر: محمد عبد الله عنان، ط2، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1996، ج1.

2) بروفنسال ليفي: الإسلام في المغرب والأندلس، تر: عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990.

3) ـــــــــــــ: حضارة العرب في الأندلس، تر: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (ب. ت).

4) دوزي رينهرت: المسلمون في الأندلس، تح: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ج3،(د.ط).

5) الزعفراني حاييم: يهود الأندلس والمغرب، تر: أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 2000، ج1.

6)زيدان عبد الكريم: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مكتبة القدس، بغداد، ومؤسسة الرسالة، بيروت، 1982

7) كربخال مارمول: إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989،ج3.

8) مارسيه جورج: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، (ب ط)، 1991.

9) ميتز آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية، تونس، 1986،ج1.

رابعا: الموسوعات والمعاجم:

أ-الموسوعات:

1)شاكر محمود: موسوعة الفتوحات الإسلامية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2002.

2)شلبي أحمد: موسوعة الحضارة الإسلامية -المجتمع الإسلامي-، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990، ج2.

3)العفيفي عبد الحكيم: موسوعة 1000 مدينة إسلامية، ط1، أوراق شرقية، بيروت، 2000م.

4)مؤنس حسين: موسوعة تاريخ الأندلس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1417هـ-1996م.

ب-المعاجم:

1)ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت711هـ/1311م): لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1994، الأجزاء 1، 2، 3.

2)الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي (ت817هـ/1414م): القاموس المحيط، مطبعة بولاق، القاهرة، 1983م، ج4.

3)مجموعة من المؤلفين: معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004

4)ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الله (ت626هـ/1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (ب. ط) ، (ب. ت)، المجلدات 1، 2، 3، 4، 5.

5)اليسوعي نخلة رفائيل: غرائب اللغة العربية، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1960

خامسا: المجلات:

1)أحمد علي: اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، (مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بتاريخ العرب، يصدر عن نخبة كتابة تاريخ العرب)، العددان 57-58، أيلول - كانون الأول- دمشق ، 1996

2)حسن العثمان إيمان عبد الرحمن: التعايش السلمي مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع/2/15، مج8، 2014

3)ساتي حسنات عوض: اليهود في شمال إفريقيا في العصور الوسطى، مجلة الراصد- ع4، أغسطس 2008.

4)شاكي عبد العزيز: حضور أهل الذمة في المجتمع الأندلسي-عامل استقرار أم باعث فوضى 459هـ-522هـ/1066م-1128، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،ع12، جامعة المسيلة، 2017.

5)معروف حفصة: المعارك البحرية في العهد الموحدي (طبيعة الاستعدادات وطرق القتال)، مجلة عصور، ع20، جانفي-جو ن، جامعة وهران، الجزائر، 2013

6)الونشريسي أبو العباس أحمد محمد التلمساني: أسنى المتاجر في أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، تح: حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات.الإسلامية في مدريد، العدد 1-2، 1377هـ - 1907م.

سادسا: الرسائل الجامعية:

1)بن الذيب عيسى: المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480هـ-540هـ/1056م-1145م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2008- 2009.

2)بوحلوفة محمد أمين: أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي (914هـ- 1508م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية ، 2015

3)بوعمامة فاطمة: اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين (7- 9هـ/13- 15م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2008- 2009.

4)كواتي مسعود: اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 1990- 1991

5)مي ش سمير ة: دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين (7-10هـ/ 13- 16م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة تلمسان، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 2013/ 2014.

الفهارس

أولاً: اليهود

1- المعنى اللغوي والاصطلاحي لليهود

أ. لغة:

اختلفت الآراء بخصوص كلمة (يهود) من حيث الاشتقاق والأصل، فيذكر بعض المؤلفين "أنها مشتقة من هاد، هودًا، وتهود أتاب ورجع إلى الحق فهو هائد"،[1] وفي قوله تعالى: "إنَا هُدْنَا إِلَيْكَ"[2] أي بمعنى التوبة والرجوع والمغفرة.[3]

فأرجح الأقوال أن هذه الكلمة غير عربية نسبة إلى دولة يهوذا[4] التي أسست في فلسطين بعد النبي سليمان (عليه السلام)، فمثلا يقال هذا فرعوني وهذا سومري قيل هذا يهودي، وقد حول العرب (الذال) إلى (الدال) للتخفيف، فقالوا هذا يهودي أو يهودية.[5]

ب. اصطلاحا

هم الذين يزعمون أنهم أتباع موسى عليه السلام المبشر بالتوراة،[6] وقال الله تعالى في صدد اليهود: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)[7]

وفي ضوء ذلك أصبحت كلمة "يهودي" منذ ذلك التاريخ تستخدم للإشارة لكل من يؤمن بدين النبي موسى عليه السلام[8] وكتابهم التوراة.[9]

قال الله تعالى: (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٣٠).[10]

ولا خلاف أن الله قد أنزل في التوراة على نبيه موسى عليه السلام التعاليم والشرائع الحاكمة لبني إسرائيل في صلتهم بخالقهم ونبيهم، مما منح اليهود وديانتهم مبدأ القدسية على التوراة.[1]

---

[1]- مجموعة مؤلفين: معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص 998.

[2]- الآية: 156 من سورة الأعراف.

[3]- ناصر عبد الله القفاري وناصر بن عبد الكريم العقل: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة -عرض نقدي تاريخي-، ط1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، 1992، ص18.

[4]- يهوذا: أحد أبناء يعقوب عليه السلام - يعتبر الولد الرابع ليعقوب بعد شمعون وروبيل ولاوي، جعله يعقوب عندما كبر سيدا على إخوته العشرة. أنظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1995، ج1، ص ص 29-30؛ المقريزي: تاريخ اليهود وأثارهم في مصر، تح: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، مصر، (د. ت)، ص 19؛ صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، ط3، دار الجيل، بيروت، 1991، ج1، ص 34.

[5]- علي عطية الكعبي:التعايش السلمي بين الأديان السماوية، ط1، مكتبة عدنان، للطباعة والنشر،بغداد، 2014، ص49

[6]- الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص 250؛ أحمد شلبي: موسوعة الحضارة الإسلامية -المجتمع الإسلامي-، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990، ج2، ص23.

[7]- سورة الأنعام: الآية 91.

[8]- محمد خليفة حسن أحمد: تاريخ الديانة اليهودية، ط1، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1997، ص 29.

[9]- التوراة: هو أول كتاب أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام أي ما كان ينزل على ابراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام ما كان يسمى كتابا بل صحفا وقد اشتمل ذلك على 39 سفرا أهمها: سفر التكوين (يندرج داخل دائرة الأمور الأخلاقية) -سفر اللاويين-سفر الأخبار- سفر العدد- سفر الثنية، الشهرستاني: الملل والنحل، المصدر السابق، ج1، ص ص250- 251 ؛ صابر طعيمة: المرجع السابق، ج1، ص ص 15- 16.

[10]- الآية : 30 من سورة التوبة.

حيث عُرف اليهود عبر العصور بأسماء عديدة نذكر منها: العبريون[2] وإسرائيليين وعلى الأرجح أن تسمية اليهود هي الأكثر تداولاً خاصة في المصادر التاريخية.[3]

2- مناطق تمركز اليهود في بلاد المغرب والأندلس:

أ- اليهود في المغرب:

إن الحديث عن وجود اليهود في بلاد المغرب الإسلامي عمومًا وفي المغرب الأقصى والأندلس خصوصًا، في عهد المرابطين يتطلب منا الرجوع إلى العهود السابقة فالأقوال التاريخية متضاربة جدًا في تحديد زمن معين لوجودهم ولكن يمكن الجزم أن دخولهم جاءوا قبل الفتح الإسلامي.

حيث يشير ابن عذارى أنه توجد مملكة يهودية في منطقة السوس عرف ملكها باسم مزدانة،[4] وقد أثبتت بعض الكتب وجود مملكة يهودية في الريف،[5] حيث أن تواجد هذا العنصر بالمغرب يعود إلى القرن 3 ق. م،[6] ما تبين لنا أن هذه الهجرات السكانية قد تزايدت مع مرور الوقت بالمنطقة، عندما تزايد الشعور بالخطر والعداء لهم بعد غزوهم لفلسطين في القرن 2 ق. م، فكانت لهم هجرات عديدة سنة 628م، عند مغادرة يهود خيبر الجزيرة العربية عبر اليمن قاصدين المغرب متخذين الجبال مقرًا لهم.[7]

وبعد الفتح الإسلامي للمغرب، نلاحظ كثرة أعدادهم فهم بذلك شكلوا أحد العناصر الفعالة في المجتمع المغربي وحتى الأندلسي،[8] حيث صار المغرب أكثر البلدان جذبا لليهود، وتمتعوا بكامل حرياتهم الدينية في كنف الدولة الإسلامية، حيث كانت لهم قوانين خاصة ترعى شؤونهم وقضاة يحكمون فيما بينهم دون أي تدخل من جانب المسلمين،[9] وكذلك الشأن بالنسبة للأعمال التجارية.[10]

وعلى هذا الأساس انتشرت الجالية اليهودية في العديد من مدن المغرب في العهد الإسلامي، فكل الإمارات التي تعاقبت على المغرب احتوت جالية كبيرة من اليهود، كدولة الأدارسة التي ضمت كل من زناتة وسدارته ولواته.[11]

---

[1]- علي عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود، ط5، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2005، ص ص 26- 33.

[2]- عبد الوهاب المسيري: من هو اليهودي؟ ط1، دار الشروق، القاهرة، 1997، ص19.

[3]- بوحلوفة محمد أمين: أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي (914ه- 1508م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية ، 2015، ص 73.

[4]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ليفي بروفنسال وج. كولان، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج1، ص 45.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 92.

[6]- جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية في المغرب الإسلامي -عصر المرابطين والموحدين-، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، 2004، ص 74.

[7]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 96.

[8]- كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 36.

[9]- ماجد بن صالح المضيان: المرجع السابق، ص 39.

[10]- مسعود كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 1990- 1991، ص 88.

[11]- المرجع نفسه، ص 80.

وقد أشارت بعض المصادر إلى تواجد جالية يهودية في المغرب في عهد إدريس الأول كانت كبيرة مقارنة بالمسيحين بالمغرب، فمنذ الأيام الأولى لبناء مدينة فاس المغربية شكل اليهود فيها جالية كبيرة، وكانت بمثابة مقصدا لهم من كل الأنحاء،[1]وكذلك يذكر ابن أبي زرع أن إدريس فرض الجزية على يهود فاس،[2] حيث تقدر حوالي ثلاثة آلاف درهم، ثم أنزلهم بالمنطقة الممتدة بين أغلان باب وحصن سعدون.[3]

ومن أمثال أهل المغرب للتدليل على كثرة اليهود في مدينة فاس "بلد بلا ناس"[4] بمعنى أن ليس فيها غير اليهود.

- أما بالنسبة لعصر الإمارات الزناتية فقد تعرض اليهود للبطش والتنكيل نتيجة الصراع السياسي الذي كان يحدث بين مختلف الطبقات السياسية، وحسبنا أن تميم بن زيري هو الذي كان وراء قتلهم اثر استرجاعه فاس سنة (424ه- 1032م)،[5]حيث قدرت أعدادهم حوالي ستة ألاف يهودي.[6]

وما نستنتجه من خلال بعض المصادر والمراجع أن اليهود رغم ما تعرضوا له من نكبات إلا أنهم ظلوا متواجدين به قبيل العصر المرابطي.

شكل اليهود أحد العناصر الفعالة في المغرب الأقصى، ويعتبر هذا التواجد استمرار وامتداد للجاليات اليهودية في العصر المرابطي، ويعود هذا الإقبال المتزايد على المغرب الأقصى كونها محطة للدخول والخروج من وإلى أوربا،[7] ومن بين المدن التي استقر فيها اليهود نذكر مدينة "فاس"،[8] حيث يصفها البكري "بأنها أكثر بلاد المغرب يهودا ويختلفون منها إلى جميع الأفاق."[9]

كما استوطن اليهود بسجلماسة واشتغل معظمها في أعمال البناء وكذلك باعتبارها خط للتجارة مع بلاد السودان[10]، ويذكر الإدريسي أن اليهود استوطنوا في مدينة أغمات ايلان حيث يقول: "وبهذه المدينة يسكن يهود تلك البلاد."[11]

كما استوطن اليهود في مكناسة وسلا فشكل اليهود فيها أعدادا كثيرة لممارسة مختلف أنشطتهم[1]، إضافة إلى بلاد درعة التي كانت بها سلسلة من التجمعات اليهودية وكان أكثر

---

[1] - علي الجزنائي: جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991، ص 45؛ ابراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص ص92-93.

[2] - ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 85.

[3] - أحمد بن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1973، ص 39.

[4] - البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، (د. ط)، (د. ت)، ص 115.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 93.

[6]- أحمد بن القاضي: المصدر السابق، ص 173.

[7]-عبد الرحمان بشير:اليهود في المغرب العربي،ط1،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،القاهرة،2001، ص 48

[8]- حسن الوزان: وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج1، ص 284.

[9]- البكري: المصدر السابق، ص 115.

[10]- الحميري: المصدر السابق، ص 306؛ ابن الخطيب: الأعلام، المصدر السابق، ص138.

[11]- الشريف الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تصحيح ونشر: هنري برين، الجزائر، دار الكتاب، 1957، ص 45.

تجارها يهودا على قول ياقوت الحموي،[2] وانتشر اليهود كذلك في النكور[3] وجبل فازاز ومنطقة قمورية وهي ما يعرف اليوم بموريتانيا وكلها اشتهرت بكثافة يهودية واشتغل اليهود بالتجارة وصناعة الذهب،[4] وكذلك استقروا في إقليم تامسنا وتادلا.[5]

وعليه يمكن القول بأن اليهود رغم الفوضى التي كانت تعم المغرب ظلوا مستقرين على ملتقيات الطرق التجارية، واعتبروا من الأثرياء في هذا العصر بدليل أن المرابطين فرضوا عليهم ضرائب تقدر حوالي مئة ألف دينار.[6]

مما سبق نستنتج أن نسبة كبيرة من اليهود استقرت بالمغرب الأقصى وعدد كبير منهم كانوا يقيمون بالمناطق الجنوبية وجبال الأطلس، وعاشوا حياة البداوة واحتكوا بالمسلمين، أما الذين استقروا بالمدن الكبرى مثل فاس اختلطوا باليهود الوافدين من بلاد الأندلس وكانوا تجارًا أغنياء وتمتعوا بإقامتهم في ظل التسامح الديني وممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية مقابل جزية يدفعونها.

ب- اليهود في الأندلس:

أما في الأندلس فكان حضورهم فعالًا مقارنة مع المغرب الأقصى، فقد عاش اليهود منذ العصر القوطي في كثير من المدن منها طليطلة وغرناطة، فكان لهم دورا بارزا، في فتح الأندلس ومساعدة المسلمين في مناطق ضعف القوط الذين أساؤوا معاملتهم.[7]

حيث حرموا من أداء شعائرهم الدينية وقاموا بإغراء المسلمين في المغرب بفتح الأندلس[8]، وبعد الفتح عومل اليهود معاملة حسنة من قبل حكام المسلمين، وكان السبب في ذلك يعود إلى مؤازرتهم للعرب الفاتحين[9]، وبهذا نالوا مكانة مرموقة أوصلتهم إلى أعلى المناصب في السلطة.

حيث تركز الوجود اليهودي في الأندلس في كل المناطق مع اختلاف كثافة هذا الوجود، حيث كان كثيفا في المناطق الجنوبية العامرة في الحياة والغنية في الأرزاق مثل غرناطة[10]، التي عرفت بغرناطة اليهود لأن نازليها كانوا يهودًا.[1]

---

[1]- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص 76؛ جمال طه، المرجع السابق، ص ص 75- 76.

[2]- ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج2، ص 451.

[3]- الحميري: المصدر السابق، ص 577.

[4]- حسنات عوض ساتي: اليهود في شمال إفريقيا في العصور الوسطى، مجلة الراصد- ع ، 4 أغسطس، 2008، ص5؛ حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 364؛ عبد الرحمان بشير: المرجع السابق، ص 52.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 12؛ محمد المغراوي: المرجع السابق، ص 113.

[6]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص23.

[7]- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس قبل الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، (د. ت)، ص 113.

[8] - حسين مؤنس: فجر الأندلس -دراسة من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية- (711- 756م)، ط1، دار المناهل، بيروت، 2002، ص 523.

[9]- عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 113.

[10]- غرناطة: مدينة أندلسية بالقرب من البيرة، من أروع مدن الأندلس. أنظر: ابن السعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، ج2، ص 105.

لكن أكبر مراكز وجودهم في الأندلس كانت بلدة "اليسانة" القريبة من قرطبة التي احتضنت اليهود دون غيرهم وكان يطلق عليها مدينة اليهود،[2] دون أن ننسى طليطلة عاصمة اسبانية القديمة والتي كانت تعرف بالثغر الأوسط، كان اليهود فيها كثيري العدد وأصبح لهم شأنا رفيعا في ظل الحكم العربي الإسلامي المتسامح، الذي سمح لهم بالامتلاك والبيع، وأعطى لهم الحرية في التصرف والدليل الذي يؤكد ذلك وجود كثير من صكوك البيع والشراء كانت تحتوي على أسماء يهودية مثل الصك الذي كان يمتلكه أبو هارون موسى بين الشحات الإسرائيلي.[3]

وقد تحدث أحمد شحلان في كتابه التراث العبري اليهودي عن وجود طائفة يهودية بطركونة[4] وسرقسطة.[5]

مما سبق نستنتج أن الوجود اليهودي في الأندلس تركز في المدن الكبرى وبعض التجمعات السكانية التي يكثر فيها النشاط الاقتصادي، خاصة النشاط التجاري الذي برع فيه اليهود، حيث تمتعت هذه الطائفة في ظل الحكم الإسلامي للبلاد بتسامح كبير لم تحظ به كافة الطوائف الدينية الأخرى وحافظوا على دينهم وفضلوا الإقامة في ظل الدولة الإسلامية وعاشوا بها أزمنة طويلة.

ثانيا: اليهود في كنف الدولة المرابطية

1- وضعية اليهود الاقتصادية والاجتماعية:

أ- الوضعية الاقتصادية:

عرف اليهود وضعية تتراوح بين الشدة والرخاء الاقتصادي، ولعل السبب الوحيد هو أن وضعيتهم ارتبطت بالأسس المادية للدولة، حيث نعلم أن دولة المرابطين دولة مغازي،

---

[1]- علي أحمد: اليهود في الأندلس و المغرب خلال العصور الوسطى، (مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بتاريخ العرب، يصدر عن نخبة كتابة تاريخ العرب)، العددان 57-58، أيلول - كانون الأول- دمشق ، 1996، ص 118.

[2]- محمد المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، جذور النشر، الرباط، 2006، ص 113؛ مجموعة مؤلفين: تاريخ الأندلسي من خلال النصوص، المرجع السابق"، ص 87.

[3]- علي أحمد: المرجع السابق، ص 165.

[4]- أحمد شحلان: التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي-التسامح الحق-، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2006، ص ص 15- 16.

[5]- ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، تر: عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1990 ص 65.

فكانت بأمس الحاجة إلى المال وللتخلص من عجز اقتصادها لجأت إلى الجزية التي فرضتها على اليهود بالإضافة إلى الضريبة التجارية.[1]

مع العلم أن اليهود خلال عصر الطوائف اتخذوا عمالاً ومتصرفين في الأشغال واكتسبوا الجاه والمال،[2] هذا ما جعلهم يدخلون في مرحلة انتعاش مادي لا بديل له وقد أعطيت هذه الهيمنة نتائجها خلال العصر المرابطي بدليل أن الطائفة اليهودية أصبحت على قدر كبير من الثراء وشكلت قوة مالية،[3] حيث عبر عنها صاحب الاستبصار بقوله: "أن أغلبهم صار عنده المال المدود"،[4] وعليه فإن اليهود كانوا محطة أنظار حكام المرابطين بسبب ثرائهم الفاحش ما جعل يوسف بن تاشفين يمارس ضغطا كبيرا على اليهود بدفعهم مبالغ مالية طائلة[5] تقدر بمئة ألف دينار عشرية ونيف على ثلاثة عشر ألف دينار،[6] وهذا ما اعتبره أو فسره البعض على أنه اضطهاد بحق العنصر اليهودي[7] وعلى العموم فإن يوسف بن تاشفين والحكام الذين جاؤوا بعده لم يتخلوا عن باقي فئات المجتمع المرابطي كما زعم أخرون، فكانوا يمدونهم بالمال في أي وقت احتاجوه خاصة في عهد علي بن يوسف بدليل أن أهل فاس حصلوا على معونة تقدر بعشرين ألف دينار،[8] وهذا بعلم الفقهاء لأن الأمراء المرابطين كانوا يستشرونهم في أي عمل.[9]

مما سبق نستنتج أن اليهود لم يكونوا في وضعية مريحة أثناء تأسيس الدولة المرابطية، ولكن الحال تغير في عهد علي بن يوسف فتمتعوا بكثير من التسامح طيلة عهده.

ب- وضعية اليهود الاجتماعية:

لقد عاش أهل الذمة في المغرب الإسلامي في عهد المرابطين أوضاعًا اجتماعية ميزتها روح التسامح التي كانت حاضرة إبان هذا العصر وما يؤكد هذا الكلام أن المرابطين لم يصدروا تشريعات خاصة بشأن اليهود مما يدل على أنهم تركوا لهم حريتهم وأنظمتهم الخاصة في انتخاب رؤسائهم،[10] فكانت الطائفة اليهودية تعرف باسم الجماعة ويرأس كل جماعة نفر منهم يدعى "الناجد"[11] أو "البرور"، وقد يسمى كذلك "مقدمًا" أو "نعمانًا"، وكان لهذا النفر مجلس يدعى "البروريم"، وتتمثل وظيفة البرور أن يمثل كل اليهود في

---

[1]- عيسى بن الذيب:المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480ه-540ه/1056م-1145م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2008- 2009، ص78.

[2]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص -ص 264-265؛ مسعود كواتي: المرجع السابق، ص 116.

[3]- ابراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 94.

[4]- مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (ب. ط)، (ب. ت)، ص 202.

[5]- علي أحمد: المرجع السابق، ص 181.

[6]- ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص 23.

[7]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 94.

[8]- ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص250.

[9]- محمد المنوني: حضارة الموحدين، ط1، دار نوبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989، ص 14.

[10]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 96.

[11]- عبد الرحمن بشير: المرجع السابق، ص ص 129- 130؛ قاسم عبده قاسم: المرجع السابق، ص61.

مجتمعه وأن يبقى في ولايته فترة عام وكان المسؤول الوحيد أمام الإدارة المرابطية في كل ما يتصل بالضرائب والالتزامات الأخرى.[1]

وكان على اليهود كغيرهم من أهل الذمة، أن يؤدوا الجزية باعتبارها موردًا من موارد الدولة وأن يقدموا اثبات يؤكد صحة أدائهم لها.[2]

كما كانت للنصارى قوانينهم، كذلك كان لليهود مؤسساتهم القضائية التي تعنى بحل المشاكل والنزاعات بين أفرادها، وكانت الإدارة المرابطية لا تتدخل في شؤونهم ولقضاتهم كامل الحرية في تطبيق القوانين والعقوبات على أبناء ملتهم باستثناء الحالات التي كان يقع فيها الخلاف بين المسلمين واليهود، في هذه الحالة يرفع الأمر لقاضي المسلمين.[3] لقوله تعالى: "وإن احكم بينهم بما أنزل الله."[4] وهذا الإثبات على مشروعية القضاء في الإسلام.

وتطلعنا بعض الكتب التاريخية على بعض عاداتهم الاجتماعية، فيوم السبت بمثابة عيد وراحة لهم، حيث يطلقون عليه شبات SEBEAT،[5] وفي المغرب الأقصى وجد عند اليهود شعر يرددونه في يوم السبت، ومن الشعراء الذين نظموا هذا الشعر اسحاق لوريا وسلمون هيلفي الذي قال في احدى قصائده:

لنذهب حبيبي لاستقبال الخطيبة**لاستقبال السبت علينا أن نذهب لأنه مصدر كل بركة.[6]

أما بالنسبة للطقوس الجنائزية يسيرون نحو المقبرة في هدوء وخفة في المشي عكس المسلمين تمامًا مما جعلها عرضة للسخرية والانتقاد مما يعكس الوضعية الاجتماعية التي تبوأها اليهود خلال العصر المرابطي أن بعضهم كان يملك عبيدًا[7] كما عاشت الجماعات اليهودية في بلاد المغرب الأقصى نظام الجوار والحماية ولقوا معاملة حسنة في العصر المرابطي.[8]

وكانت لليهود معابدهم التي تقام فيها صلواتهم، وكانوا أحرارًا لذلك لا يتعرض لهم المسلمون في شيء، وكانت العلاقات بين المسلمين واليهود متصلة مطلقة من كل قيد، مما جعل اليهود يسرعون بالاندماج في الجماعة الإسلامية، فاستعربت ألسنتهم وأخذوا لباس المسلمين،[9] بشرط أن لا تكون العمامة رفيعة الثمن ولا من رقيق الكتان لما في ذلك من التباهي على المسلمين.[10]

---

[1]- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ص 545- 546.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 96؛ حاييم الزعفراني: يهود الأندلس والمغرب، تر: أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 2000، ج1، ص ص 35- 46؛ مارمول كربخال: إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989،ج3، ص 153.

[3]- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ص 545- 546؛ ماجد بن صالح المضيان: المرجع السابق، ص 39؛ ابن سهل: المصدر السابق، ص 12.

[4]- الآية: 9 من سورة المائدة.

[5]- مسعود كواتي: المرجع السابق، ص 133.

[6]-عطا علي محمد شحاته رية: اليهود في بلاد المغرب الأقصى،ط1،دار الكلمة للطباعة والنشر،سوريا،1999، ص 115

[7]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 98.

[8]- مسعود كواتي: المرجع السابق، ص ص 114- 115.

[9]- حسن مؤنس: المرجع السابق، ص 546.

[10]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص ص 100- 101.

وخلاصة القول أن اليهود احتلوا مكانة اجتماعية هامة بدليل أنهم لم يتعرضوا لأي مضايقة من قبل الدولة المرابطية فكانوا يمارسون عاداتهم وتقاليدهم وشعائرهم الدينية بكل حرية.

2- دور اليهود في الدولة المرابطية:

عومل أهل الذمة في العهد المرابطي وفقا لتعاليم كتاب الله والسنة وقد قابل هذه السياسة المبنية على التسامح تجاوزات برزت في مجالات عديدة كالاقتصادية والسياسية والثقافية، حيث لعب اليهود أدوارًا هامة على مستويات شتى في العصر المرابطي نبدأها بعرض دورهم الاقتصادي الذي ظهر بارزًا من خلال الرخاء الاقتصادي والتسامح الإسلامي الذي تمتعوا به داخل الدولة المرابطية.

من المُسَّلم به أن اليهود شاركوا مشاركة فعلية في الحياة الاقتصادية بالمغرب، وقد تعددت الفروع التي عملوا بها ففي مجال الزراعة، امتلك اليهود اقطاعات زراعية[1] بدليل أن الأمير علي بن يوسف عندما أراد أن يزيد في بناء مسجد القرويين اشترى أرض من ملكية اليهود ولم يقم باغتصابها منهم،[2]مع العلم ان اليهود فضلوا شراء المحاصيل الزراعية

[1]- عبد الرحمن بشير: المرجع السابق، ص87؛ عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي خلال القرن 6ه، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1983، ص ص 108، 109.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 87.

ثم الاتجار بها على أن يزرعوا الأرض وذلك لأن الزراعة تتطلب الانتظار لحين جني المحصول عكس التجارة.[1]

أما الصناعة فقد تميزوا بها وكان توفر الذهب في بلاد المغرب الأقصى عاملاً مشجعا على إقامة اليهود أسواق للمصوغات الذهبية خاصة في سجلماسة ودرعة[2]، وقد تحدث ياقوت الحموي عن دور الذهب في ثراء سكان المدينة بقوله: "وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالاً لأنها على طريق غانا التي هي معدن الذهب.[3]

ضف إلى ذلك احترافهم صياغة الفضة في بلاد المغرب إذ كانت درعة غنية به[4] بينما اشتهر يهود فاس بصناعة القناديل وزخرفة المعادن[5]، في حين عمل يهود سجلماسة في البناء.[6]

فساهموا بحظ وافر في إثراء رصيد البلاد الحضاري،[7] أما بالنسبة للتجارة فتعتبر أهم نشاط اقتصادي تركزوا فيه، حيث كان لليهود في المغرب الأقصى دور عظيم في تجارة الرقيق أو العبيد[8]، فقد ذكر ابن سعيد المغربي حادثة تاجر يهودي مع محمد بن الأمير عبد الرحمن أن التاجر اليهودي قدم جواري، وكان من بينهم جارية فائقة الجمال اشترط فيها اليهودي ثمن مرتفع على الأمير محمد فأمسكها عنه، فرفع التاجر ذلك إلى سليمان فأنكر القاضي هذا، وسافر إلى الأمير عبد الرحمن في قرطبة لإبلاغه بما حدث فحينئذ ردها على اليهودي.[9]

هذا يبين مدى مشاركة اليهود في تجارة الرقيق، ويؤكد ابن خرداذبة بقوله: "يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق برًا وبحرًا يجلبون من المغرب الخدم والجواري، [10]وعليه ظل اليهود يزاولون هذه التجارة المربحة منذ الفتح الإسلامي للأندلس واستمروا حتى عصر المرابطين.[11]

كانت طائفة من اليهود في سجلماسة يمارسون التجارة، وكانت تجارتهم مع ساحل النيجر ومع مصر والهند، فضلا عن ذلك كان اليهود يلعبون دور الوسيط بين التجار المغاربة وبين التجار الأجانب لإتقانهم أكثر من لغة،[12] وظلت أعمال الصيرفة ملك أيدي

---

[1]- إيمان عبد الرحمن حسن العثمان: التعايش السلمي مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع/2/15، مج8، 2014، ص9.

[2]- المرجع نفسه، ص 9.

[3]- ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج3، ص 192.

[4]- ابن خرداذبة المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، (د. ط)، 1889، ص 88.

[5]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 368.

[6]- البكري: المصدر السابق، ص ص 148- 149.

[7]-محمد كنيب: يهود المغرب، تح: ادريس بن سعيد، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط، 1998،ص17.

[8]- مسعود كواتي: المرجع السابق، ص 142.

[9] - ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج1، ص 151.

[10]- ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص153.

[11]- ابراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 111.

[12]- ايمان عبد الرحمن حسن العثمان: المرجع السابق، ص 9.

اليهود في المغرب والأندلس معًا، إذ هيمنوا على عمليات تبادل العملة وعقد صفقات البيع والشراء.[1]

وعليه يمكن القول أن اليهود برعوا في كل ميادين الاقتصادية كالصناعة والزراعة خاصة التجارة، إذ أنهم احتلوا الريادة في تجارة الرقيق بسبب التسامح والحرية التي تمتعوا بها داخل الدولة المرابطية.

أما بخصوص دورهم السياسي تقلد بعض اليهود منصب صاحب الشرطة ومنصب الكتابة منهم كاتب أبي عمر ينالة عامل غرناطة، ضف إلى ذلك أن الأمراء المرابطين أوكلوا لهم مهمة جباية الضرائب،[2]

بينما في الجانب العسكري تمت مشاركتهم في معركة زلاقة بحوالي 40 ألف مقاتل وظل العديد منهم لحراسة الحصون والقلاع .[3]

وخلاصة القول أن تعامل الدولة المرابطية مع اليهود بلغ قمة التسامح إذ جعلتهم يتبوؤن مناصب سياسية وإدارية، وهذا إثبات على عدم اقصائهم واضطهادهم من قبل الدولة المرابطية.

أما في الجانب الثقافي برز دورهم في اسهاماتهم الفكرية في شتى مناحي المعرفة إذ يمكننا اعتبار أن الحقبة المرابطية تعتبر محطة من محطات تطور الفكر اليهودي، إذ ظهرت أسماء لامعة لعلماء ومفكرين يهود من بينهم اسحاق الفاسي حيث برع هذا الأخير في الدراسات التلموذية.[4]

أما في الفلسفة ظهر العديد من الفلاسفة اليهود ومن بينهم ابن الصمويل هاليفي المعروف في المصادر العربية بأبى الحسن الذي سعى إلى نقد الفلسفة اليونانية ونقد الأديان الأخرى،[5] ولعبوا دورًا هاما في حركة الترجمة من العربية إلى العبرية واللاتينية حتى أن القرن السادس الهجري اعتبر انطلاقة حقيقية لحركة الترجمة.[6]

وصفوة القول أن اليهود ترعرعوا في كنف الدولة المرابطية في ظل الحرية التي تمتعوا بها فلعبوا دورًا هامًا في المجال الثقافي وكان أبرز وجوهه حركة الترجمة.

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 111؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ج2، ص 260.
[2]- المرجع نفسه، ص ص 108- 109.
[3]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 109.
[4]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص94؛ مسعود كواتي: المرجع السابق، ص ص 246- 248.
[5]- عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص 95.
[6]- إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 108.

فهرس الآيات القرآنية

الآية من سورة		رقم الآية	الرواية	الصفحة
البقرة	قال تعالى" وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" ١٠٩	109	ورش عن نافع	12
	قال تعالى" لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦"	256	ورش عن نافع	14
	قال تعالى"ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ" ٢٧٥	275	ورش عن نافع	15
آل عمران	قال تعالى "فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" ٥٢	52	ورش عن نافع	49
	وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" ٧٢	72	ورش عن نافع	10
	قال تعالى" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ" ١١٨	118	ورش عن نافع	16
النساء	قال تعالى" يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا" ١٧١	171	ورش عن نافع	50
الأنعام	قال تعالى"وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ" ٩١	91	ورش عن نافع	33
الأعراف	قال تعالى"وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ "١٥٦	156	ورش عن نافع	33
التوبة	قالل تعالى"لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ" ١٠	10	ورش عن نافع	09
	قال تعالى " قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ" ٢٩	29	ورش عن نافع	18
	قال تعالى" وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ" ٣٠	30	ورش عن نافع	34
يونس	قال تعالى" وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ "٩٩	99	ورش عن نافع	14

يس	قال تعالى" لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ" ٧	07	ورش عن نافع	12
الممتحنة	لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨	08	ورش عن نافع	14

فهرس الأحاديث النبوية

الحديـــــــــث	الصفحـــة
- ويسعى بذمتهم أدناهم	9
- اذا فتحت مصرفا فاستوصوا بالأقباط خيرا	11
- من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة	13

فهرس الأعلام

ابن الأثير 50-19-20	البكري 37
ابن الخطيب 54	تاشفين 52
ابن الصمويل هاليفي 47	تميم بن زيري 36
ابن القلاس 54	حسيدي بن إسحاق بن شبروط 16
ابن القيم الجوزية 11	الروبرتير 59
ابن خرداذبة 45	السلاوي 21
ابن خلدون 19-28-56	سليمان 45
ابن خلكان 21-51	سليمان بن عبد الملك 16
ابن سعيد المغربي 46	سليمان عليه السلام 33
ابن شالب 30	صالح بن عمران 27
ابن عذارى 19-23-35-53-54	عبد الرحمان 16-53
ابن منظور 9	عبد الرحمان بن عوف 11
أبو بكر الصديق 20	عبد الله ابن ياسين 23-24-25
أبو بكر بن عمر 24	عبد المؤمن بن علي 58
أبو عمران الفاسي 23-25	علي بن يوسف25-31-41-42-44-52-57-58-60
أبو هارون موسى 39	عمر رضي الله عنه 11
أبي الحسن 48	عمر ينالة 46- 56
أبي زرع 36	الفونس السادس 28-30-31
أبي عبد الله بن تيفاوت 22	محمد بن الأمير عبد الرحمان 45

احمد شحلان 39	محمد صلى الله عليه وسلم 9-11-13-15-19
إدريس 36-51	مريم 49
الإدريسي 37	مسعود بن ونودين 25
إسحاق 53	المعتمد ابن عباد 26-29-30
إسحاق الفاسي 46	المعز الدين الفاطمي 46
إسحاق لوريا 42	موسى عليه السلام 33-34-49

.

وجاج ابن زلوا اللمطي 23	
ياقوت الحموي 37-44	
يحي إبراهيم 23	
يعقوب بن كلس 46	
يوسف بن تاشفين 25-26-27-28-29-30-31-40-53	

فهرس الأماكن

ارغون 21	حصن لبيط 30
اسبانية 39	حمير 20 -21
اغلان باب 36	خيبر 35 -36
اغمات ايلان 37	درعة 24- 37- 44- 44
الأندلس16-21-23-28-29-30-31-35-38-39-40-46-47-50-51-52-54-56-60	درن 25
أوروبا 36	الرملة 16
برغواطة 24	زناتة 25- 35
بلسنية 29	سبته 27
تادلا 37-51	سجلماسة 24- 28- 37- 45
تافيلاليت 25	سدراته 35
تامسنا 23-26-37-51	سرقسطة 29- 39
تلمسان 27-51	سلا 37
تنس 27	السنغال 20- 24
الثغر الأوسط 39	السودان 20- 37
جبال الأطلس 38	السوس الأقصى 23- 35- 36
جبال الونشريس 26	الشام 20 - 49
جبل فزاز 37	شنقيط 20- 22
جدالة 19-21-22	الصحراء 20- 22- 23- 24
الجزائر 27 -28	صنهاجة 19-20-21-22-23
الجزيرة الايبرية 21	طرابلس 28
الجزيرة الخضراء 28	طركونة 39
الجزيرة العربية 35	طليطلة 30-31-38-39-58
الحجاز 15	طنجة 20-26-27-28
حصن سعدون 36	غانا 21-22-44
غرناطة 31-38-46-56	المشرق 46
فاس26-36-37-38-41-45-51-60	مصر 20 -46
فلسطين 33 -35	المغرب20-23-25-26-27-31-35-36 42-45-46-47-50-52-56-57-58-59-61
قرطبة 30- 39- 46- 53	المغرب الأقصى 24-27-35-36-37-38-42-44-45-51-52-57-58
قشتالة 21- 29 -31	المغرب الأوسط 27- 51
قمورية 37	مكناسة 37
القيروان 23	موريتانيا 21- 37
كانم 20	نافارا 21-52
لمتونة19-20-21-22-23-24-58	نصران 49
لمطة 19	نفيس 24

لواته 35	النكور 37
ليون 29	النيجر 46
مالي 20	الهند 46
المحيط الأطلسي 20	وهران 26
مراكش 21 -24 -26 -31 -59	اليسانة 38- 39
مسوفة 19 -22 -24	يهوذ 33

.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان
الإهداء
مقدمة أ

الفصل الأول: أهل الذمة والدولة المرابطية

أولا: أهل الذمة 9
1- مفهوم أهل الذمة 9
2- حقوق وواجبات أهل الذمة في الدولة المرابطية 12
ثانيا: الدولة المرابطية 19
1- قيام الدولة المرابطية 19
أ- نسب المرابطين 19
ب- الامتداد الجغرافي لدولة المرابطين 20
ج- تأسيس دولة المرابطين 21
2- توسعات الدولة المرابطية 25

الفصل الثاني: اليهود داخل الدولة المرابطية

أولاً: اليهود 33
1- المعنى اللغوي والاصطلاحي لليهود 33
2- مناطق تمركز اليهود في المغرب والأندلس. 34
ثانيا: اليهود في الدولة المرابطية 40
1- وضعية اليهود في الدولة المرابطية 40
2- دور اليهود في الدولة المرابطية. 44

الفصل الثالث: النصارى في كنف الدولة المرابطية

أولاً: النصارى 49
1- النصارى في اللغة والاصطلاح 49
2- مناطق تمركز النصارى في بلاد المغرب والأندلس 50
ثانيا: النصارى داخل الدولة المرابطية 54
1- وضعية النصارى في الدولة المرابطية 54
2- اسهامات النصارى في الدولة المرابطية. 56
خاتمة 61
الملاحق 64
قائمة المصادر والمراجع 72
الفهارس

-فهرس الآيات القرآنية 81
-فهرس الأحاديث النبوية 82
-فهرس الأعلام 83
-فهرس الأماكن 85
- فهرس المحتويات 87